المهدوية
عنداهل البيت

علی اسلامی

بسم الله الرحمن الرحیم

المهدویهٔ عند اهل البیت

كاتب:

علی اسلامی

نشرت فی الطباعهٔ:

مجله حوزه

رقمی الناشر:

مركز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الكمبیوتریهٔ

الفهرس

المهدوية عند اهل البيت

اشارة

نوع: مقاله

پديدآور: اسلامى، على

عنوان و شرح مسئوليت: المهدوية عند اهل البيت [منبع الكترونيكى] / على اسلامى

توصيف ظاهرى: ۱ متن الكترونيكى: بايگانىHTML ؛ داده هاى الكترونيكى (۱۶ بايگانى: ۱۵۳.۹KB)

موضوع: مهدويت

احاديث

الامامة الاثنى عشرية جوهر مفهوم المهدوية

إن أصل الاعتقاد بفكرة ظهور المنقذ الذى يمثل جوهر الفكرة المهدوية فى الإسلام يعتبر ظاهرة إنسانية عامة و ليس خاصاً بدين معين أو مذهب معين، و هذه الحقيقة من شأنها أن تساعد على اسقاط أربع شبهات فى المسألة المهدوية فى آن واحد.فهى توضح أولًا: بطلان الشبهة القائلة باختصاص الشيعة بالقول بالمهدوية، خاصة مع ثبوت اجماع المسلمين عليه.و توضح ثانياً: بطلان شبهة الأُسطورة القائلة بأن المهدوية فكرة أُسطورية منتزعة من الخيال، فإن الأُسطورة خيال ساذج منتزع من واقع قبلى أو قومى أو فئوى محدود، و ليست هناك أُسطورة تحضى بإجماع الأديان السماوية و غير السماوية و تُعبّر عن ضمير إنسانى عام، و يتبناها العلماء و المفكرون و الفلاسفة.و توضح ثالثاً: بطلان الشبهة القائلة بدور اليهود فى إيجاد الفكرة المهدوية، فإذا كان مضمون الفكرة المهدوية موجوداً فى كل دين حتى الأديان غير السماوية فلماذا نستكثر على الإسلام وجوده فيه؟ فإن مقتضى العقل والمنطق أن يكون الإسلام مشتملًا على هذه الفكرة بمفهوم أوضح و أكمل، كما هو المتجسد فى مدرسة أهل البيت (ع)، و حينئذ فمن مؤشرات الكمال فى هذا الدين، و هذه المدرسة بالذات منه، احتواءهما على الفكرة المهدوية، أليست الأديان تشترك فى محاور عقائدية و تشريعية كثيرة كالحج، و الصوم، و الصلاة... إلخ، فهل أن تصريح اليهودية ـ و غيرها ـ بمثل هذه المحاور يقتضى ابتعاد الإسلام عنها؟ أم يقتضى تأكيد الإسلام عليها، و طرحها بمفهوم أكمل و أرقى؟ فهذه الشبهة تعود على أصحابها بالنقص و على الإسلام و التشيع بالكمال.كما توضح رابعاً: بطلان الشبهة القائلة بأن الفكرة المهدوية و ليدة ظروف الضغط السياسى التى عاشها أتباع الائمة (ع)، فإن الخوارج و اجهوا ضغطاً لا ـ يقل عما و اجهه أتباع الأئمة (ع) منه، و لو كانت هناك قاعدة مطردة فما أكثر المظلومين و المضطهدين الذين لم يُعرف عنهم اعتقاد بمضمون الفكرة المهدوية، و ما اكثر الافراد و الجماعات التى آمنت بهذا المضمون بدون معاناة لظلم و اضطهاد، و لو كان هذا الاعتقاد ناشئاً من الظلم و الاضطهاد فما باله يظهر فى الأجيال التالية غير المضطهدة؟نعم، الشيء الذى يمكن الاعتقاد به هو أن عوامل الضغط و الاضطهاد من شأنها أن تدفع باتجاه التمسك بالفكرة المهدوية أكثر، لا أنها تنشئ هذه الفكرة و توجدها من حيث الأساس.إن الدين هو التعبير الأكمل عن الحقائق الإنسانية، و الإسلام هو التعبير الأكمل عن الحقائق الدينية، و مدرسة أهل البيت (ع) هى التعبير الأكمل عن الحقائق الإسلامية.و حينما تصرح الأديان بفكرة المنقذ العالمى فإنما تكشف ـ فضلًا عن الحقيقة الغيبية ـ عن ضمير إنسانى أكيد و بنحو أكمل و حينما يصرح الإسلام بهذه الفكرة، انما يصرح بحقيقة دينية أكيدة و بنحو أكمل مما طرحته الأديان السابقة، و حينما يصرح أهل البيت (ع) بهذه الفكرة فإنما يقدمون البيان الأكمل عن الحقيقة الإسلامية فى هذا المضمار.وحينئذ فالفرق بين المسألة المهدوية فى مفهوم مدرسة الخلفاء و مدرسة أهل البيت (ع) هو الفرق بين مدرسة تبيّن الحد الأدنى من الحقيقة و مدرسة تتصدى لبيان الحقيقة الإسلامية بحدها الأعلى، فتتصور الأُولى أن الثانية قد سلكت سبيل الغلو والتطرف،

و لعل السرّ فی اشتهار التشیع بالمهدویهٔ حتی کأنها منخصائصه و لیست من العقائد المجمع علیها بین المسلمین یعود الی اختصاصه بحد الکمال، و تمتع المفهوم المهدوی لدیه بخصائص فریدهٔ بها یتحقق المعنی المطلوب من المهدویهٔ.وهذه الخصائص تتشعب من محور واحد هو أن المهدویهٔ فی مفهوم أهل البیت (ع) لیست نظرهٔ مستقبلیهٔ صرفهٔ، و لیست مجرد إخبار عن مستقبل سعید للبشریهٔ سیکون فی نهایهٔ المطاف، کماتری ذلک مدرسهٔ الخلفاء، و إنما هی قبل ذلک جزء لا یتجزء من عقیدهٔ الإمامهٔ الاثنی عشریهٔ التی قدّر لها سماویاً أن تستوعب التاریخ من لحظهٔ وفاهٔ الرسول (ص) الی اللحظهٔ الأخیرهٔ من حیاهٔ البشریهٔ، أو بتعبیر آخر، هی مسألهٔ الإمام الثانی عشر الذی بدأت إمامته منذ عام (۲۶۰ هـ) و تواصلت حتی الآن، وستتواصل حتی ظهوره فی خاتمهٔ التاریخ.ونحن حینما نبحث فی المسألهٔ المهدویهٔ فی مفهوم أهل البیت (ع) لابد و أن نرکّز علی هذا المحور العقائدی و ننظر إلیه تارهٔ من زاویهٔ الدلیل و البرهان بقصد الاثبات، و اُخری من زاویهٔ الخصائص المترتبهٔ علیه، و ثالثهٔ من زاویهٔ القیمهٔ العقائدیهٔ التی ینطوی علیها، فهنا ثلاث مراحل من البحث نجعل کل مرحلهٔ فی فصل.

الاثبات العقائدی لمفهوم المهدویهٔ عند أهل البیت

اشاره

مستدرک الحاکم علی الصحیحین، و یلاحظ هنا أن البخاری الذی نقل هذا الحدیث کان معاصراً للإمام الجواد (ع) و الإمامین الهادی و العسکری (ع)، و فی ذلک مغزیً کبیراً ;لأنه یبرهن علی أ ن هذا الحدیث قد سُجّل عن النبی (ص) قبل أن یتحقق مضمونه و تکتمل فکرهٔ الأئمهٔ الاثنی عشر فعلاً، و هذا یعنی أنه لا یوجد أی مجال للشک فی أن یکون نقل الحدیث متأثراً بالواقع الإمامی الاثنی عشری و انعکاساً له ;لأن الأحادیث المزیفهٔ التی تنسب الی النبی (ص) هی انعکاسات أو تبریرات لواقع متأخر زمنیاً لا تسبق فی ظهورها وتسجیلها فی کتب الحدیث ذلک الواقع الذی تشکل انعکاساً له، فما دمنا قد ملکنا الدلیل المادی علی أن عشری ابتداءاً من الإمام علی و انتهاءاً بالمهدی (ع ;) لیکون التطبیق الوحید المعقول لذلک الحدیث النبوی الشریف.لقد أخرج مسلم فی صحیحه من طریق قتیبهٔ بن سعید، عن جابر بن سمرهٔ قال: دخلت مع أبی علی النبی (ص) فسمعته یقول: «إنّ هذا الأمر لا ینقضی حتی یمضی فیهم اثنا عشر خلیفهٔ».قال: ثمّ تکلم بکلام خَفی علَیَّ، فقلت لأبی: ما قال؟ قال: «کلّهم من قریش».ثمّ أخرجه عن ابن أبی عمر، عنه، و عن هداب بن خالد، عنه، و عن نصر بن علیّ الجهضمی، عنه، و عن محمد بن رافع، عنه، کلّ من طریق.وأخرجه عن أبی بکر بن أبی شیبهٔ، عنه، من طریقین. و عن قتیبهٔ بن سعید، عنه، من طریقین آخرین.فهذه تسعهٔ طرق للحدیث فی صحیح مسلم فقط، ناهیک عن کثرهٔ طرقه الاُخری فی کتب الحدیث لدی السُنّهٔ و الشیعهٔ.

اضطراب مدرسهٔ الخلفاء فی تفسیر الشیعهٔ

والسؤال هنا: من هم هؤلاء الخلفاء؟قبل ان نختار اجابهٔ محدّدهٔ علی هذا السؤال لابد من طرح الاحتمالات المتصورهٔ فی معنی هذا کما أخرج هذا الحدیث محدّثوا الشیعهٔ أیضاً نذکر منهم الصدوق فی کمال الدین ۱: ۲۷۲. و الخصال ۲: ۴۶۹ و ۴۷۵، و قد تابع طرق الحدیث و رواته من الصحابهٔ فی إحقاق الحق ۱۳: ۱ ـ ۵۰.الحدیث، و مقصود النبی الأعظم (ص) منه. و هنا احتمالان لاثالث لهما و هما:۱ ـ أن یکون مقصود النبی (ص) هو بیان ما سیجری علیه الواقع السیاسی للاُمهٔ من بعده، بنحو من التنبؤ و الکشف عن المستقبل، علی غرار تنبؤات کثیرهٔ صدرت منه (ص) فی شؤون مختلفهٔ. فیکون مفاد الحدیث هو الإخبار عن الواقع المستقبلی للاُمهٔ. و لنطلق علی هذا الاحتمال اسم التفسیر المستقبلی.۲ ـ أن یکون مقصوده (ص) اصدار قرار بتعیین اثنی عشر إماماً و خلیفهٔ من بعده، فیکون مفاده الإنشاء و التنصیب بلحاظ مقتضیات الشریعهٔ، لا ـ الاخبار بلحاظ الواقع المستقبلی. و لنطلق علی هذا الاحتمال اسم التفسیر

العقائدی.ومقتضی البحث العلمی أن ننظر فی هذین الاحتمالین و نختار ما تؤیده الشواهد و الأدلّة و البراهین العقلیة و النقلیة، إلاّ أن مدرسة الخلفاء لما آمنت منذ البدء بشرعیة نظام الخلافة و رفضت نظریة التعیین، و أقامت تراثها الکلامی والفقهی علی هذا الأساس، وجدت نفسها أمام احتمال واحد لا مفرّ لها عنه وهو الاحتمال الأول، واضطرت الی تأویل کل ما یعارضه، والأخذ بهذه التأویلات مهما کانت تعسفیة وبعیدة عن القواعد العقلیة والعرفیة، باعتبارها أمراً لا بدیل عندها عنه.وکان علیها أن تنظر الی الحدیث نظرة علمیة متحررة من أی فکرة مُسبقة لتتأکد بنفسها من سقم التفسیر المستقبلی للحدیث، فإن کان النبی ینظر الی ما سیجری علیه الواقع فما الداعی الی التحدید باثنی عشر خلیفة مع امتداد المستقبل أکثر من هذا؟ وإن کان النبی ینظر الی الخلافة الصحیحة المطابقة للموازین الشرعیة فإن مدرسة الخلفاء لم تقطع ولم تجمع علی شرعیة غیر الخلفاء الأربعة، ومن هنا اضطربت آراؤها فی تحدید اشخاص الخلفاء الاثنی عشر.فالخلفاء الاثنا عشر عند ابن کثیر: الخلفاء الأربعة، وعمر بن عبدالعزیز، وبعض بنی العباس، واستظهر أنّ المهدیّ منهم.وعند القاضی الدمشقی: الخلفاء الأربعة، معاویة، ویزید بن معاویة، وعبدالملک بن مروان وأولاده الأربعة (الولید، وسلیمان، ویزید، وهشام)، وأخیراً عمر بن عبدالعزیز.وعند ولی الله المحدِّث فی قرة العینین ـ کما جاء فی عون المعبود: الخلفاء الأربعة، معاویة، وعبدالملک بن مروان، وأولاده الأربعة، وعمر بن عبدالعزیز، وولید بن یزید بن عبدالملک، ثمّ نقل عن مالک بن أنس أنّه أدخل عبدالله بن الزبیر فیهم. ولکنه رفض قول مالک، مستدلاً بما روی عن عمر وعثمان ؛عن النبی (ص) ما یدل علی أنّ تسلط ابن الزبیر کان مصیبة من مصائب هذه الاُمة، ثم ردّ من أدخل یزید بینهم، مصرحاً بأنّه کان سیّء السیرة.وقال ابن قیم الجوزیة: «وأمّا الخلفاء: اثنا عشر، فقد قال جماعة منهم أبوحاتم وابن حبّان وغیره: إنّ آخرهم عمر بن عبدالعزیز، فذکروا الخلفاء الأربعة، ثم معاویة، ثمّ یزید ابنه، ثمّ معاویة بن یزید، ثمّ مروان بن الحکم، ثم عبدالملک ابنه، ثمّ الولید بن عبدالملک. ثمّ سلیمان بن عبدالملک. ثم عمر بن عبدالعزیز، وکانت وفاته علی رأس المائة، وهو القرن المفضل الذی هو خیر القرون، وکان الدین فی هذا القرن فی غایة العزّة، ثم وقع ما وقع».وقال النوربشتی: «السبیل فی هذا الحدیث وما یتعقبه فی هذا المعنی أنه یحمل علی المقسطین منهم، فإنّهم هم المستحقون لاسم الخلیفة علی الحقیقة، ولا یلزم أن یکونوا علی الولاء، وإن قُدّر أنهم علی الولاء فإنّ المراد منه المسمون بها علی المجاز، کذا فی المرقاة».وعند المقریزی: الخلفاء الأربعة، ثمّ الإمام الحسن (ع) قال: «وبه تمّت أیام الخلفاء الراشدین»، ولم یُدخِل أحداً من بنی اُمیة حیث صرّح بأنَّ الخلافة صارت بعد الإمام الحسن (ع) ملکاً عضوضاً، قال: «أی: فیه عسف وعنف»، کما لم یُدخل أحداً من بنی العباس، مصرّحاً أنّ فی خلافتهم «افترقت کلمة الإسلام وسقط اسم العرب من الدیوان، واُدخل الأتراک فی الدیوان، واستولت الدیلم، ثمّ الأتراک، وصارت لهم دول عظیمة جداً، وانقسمت ممالک الأرض عدة أقسام، وصار بکلّ قطر قائم یأخذ الناس بالعسف، ویملکهم بالقهر».وهکذا یلاحظ بوضوح اضطراب مدرسة الخلفاء تفسیرها لهذا الحدیث، ووقوعها فی مطبّات یتعذّر علیها الخروج منها ما دامت تصرّ علی التفسیر المستقبلی له.وقد قال السیوطی فی الحاوی: «لم یقع الی الآن وجود اثنی عشر اجتمعت الاُمة علی کلّ منهم».ولو کان التفسیر المستقبلی فی نفسه صحیح ومقبول لآمن به صحابة النبی (ص) قبل غیرهم، ولظهر آثار ذلک علی لسان الخلفاء أنفسهم، ولقال أولهم: أنا أول الخلفاء الاثنی عشر، ولقال الثانی والثالث الی الثانی عشر مثل ذلک، ولکان مثل هذا الادّعاء افتخاراً ومدرکاً یساعد علی اثبات شرعیة کل منهم، بینما لم یسجّل التاریخ ادعاءاً لأی من الاسماء المذکورة فی سلسلة الخلفاء الاثنی عشر الافتراضیة بمثل ذلک.ثم إن الحدیث یدل علی أن فترة إمامة الأئمة الاثنی عشر تستوعب التاریخ الإسلامی الی نهایته بحیث تموج الأرض بأهلها من بعدهم. فقد روی أهل السنّة عن النبی (ص) أ نّه قال: «لا یزال هذا الدین قائماً الی اثنی عشر من قریش، فإذا هلکوا ماجت الأرض بأهلها». ولم تمج الأرض بعد موت عمر بن عبدالعزیز بأهلها، بل کان انتشار علوم الدین کالفقه والحدیث والتفسیر فی القرنین الثالث والرابع الهجریین، حتی بلغت علوم الدین قمتها فی الاتساع والشمول بعد موت هؤلاء الخلفاء الاثنی عشر عند أهل السنّة، والمفروض أن تموج الأرض بأهلها!ورووا أیضاً، عن جابر بن سمرة: «لا تزال هذه الاُمة مستقیماً أمرها، ظاهرة علی عدوّها، حتی یمضی منهم اثنا عشر خلیفة، کلهم من قریش، ثم یکون المرج».وإذا کان المراد بالمرج هو القلق، والاضطراب، والالتباس، فیقتضی أن لا یکون شیء

منه الى عهد عمر بن عبدالعزيز، ولكن التاريخ لا يعرف فتنة عظم بها القلق، واشتد الاضطراب، وكثر فيها التباس الحق بالباطل من فتنة معاوية وخروجه على خليفة المسلمين، وهذا يدل على أن المراد بالمرج هو أعظم من القلق والاضطراب والالتباس، ولعل المراد ترك الدين بالكلّية، وهذا ما لم يحصل إلاّ عند اقتراب الساعة، التى يسبقها ظهور الإمام المهدى (ع)، وما يعقب انتقاله الى الرفيق الأعلى من أحداث.ثم ما معنى إدخال الملوك فى عداد الخلفاء، فقد روى أهل السُنّة، عن سعد بن أبى وقاص أحد العشرة المبشرة، ومن رجال الشورى الذين عينهم عمر أنه دخل على معاوية وقد تخلف عن بيعته، فقال: «السلام عليك أيها الملك، فقال له: فهلا غير ذلك؟ أنتم المؤمنون وأنا أميركم. قال: نعم، إن كنّا أ مّرناك، وفى لفظ: نحن المؤمنون ولم نؤ مّرك» وقد أنكرت عائشة على معاوية دعواه الخلافة، كما أنكرها ابن عباس، والإمام الحسن (ع) حتى بعد الصلح، فهو من البغاة بالاتفاق ;لحديث: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية». ولست أدرى كيف يصحُّ أن يكون الباغى على الخليفة الشرعى خليفة لرسول الله (ص) على المؤمنين!!وما معنى إدخال يزيد الفاجر، المعلن فجوره وانتهاكه لحرمات الله تعالى، وهذا من أعجب العجب حقاً، إذ كيف يصحُّ للمسلم أن يجعل من يسفك دماء أهل بيت رسول الله (ص)، ويغزو جنده المدينة المنورة ويقتلوا عشرة آلاف من أهلها حتى أنه لم يبق بدرياً بعد موقعة الحرّة، خليفة لرسول الله (ص)، وكذلك الحال مع ملوك الشجرة الملعونة بنصّ القرآن الكريم، ولقد رآهم النبىّ فى منامه ـ ورؤيا الأنبياء صادقة كفلق الصبح ـ بأنّهم ينزون على منبره نزو القرود، باتفاق معظم المفسرين من أهل السنّة، وذلك عند تفسيرهم الآية الستين من سورة الإسراء، بما لا حاجة الى تتبع كلماتهم.وهكذا يظهر بوضوح ثلاث نتائج حاسمة هى:١ ـ فشل التفسير الإخبارى المستقبلى لحديث الخلافة الاثنى عشرية.٢ ـ دور العامل السياسى فى إلجاء مدرسة الخلفاء إليه.٣ ـ انحصار الحقيقة الشرعية بالتفسير العقائدى الإنشائى القائل بدلالة الحديث المذكور على نصب اثنى عشر إماماً للمسلمين، وهو التفسير الذى قامت عليه أدلة عقلية وقرآنية ونبوية كثيرة جداً نجدها مبسوطة فى التراث الإمامى القديم والحديث، فى مجالات التفسير والحديث وعلم الكلام والتاريخ.ويبدو أن التاريخ قد أبى إلاّ أن يبقى الأئمة الاثنا عشر من أهل البيت (ع) مصداقاً وحيداً للحديث المذكور لاينازعون فى ذلك حتى على مستوى الإدّعاء، أولهم أمير المؤمنين (ع) وآخرهم الإمام المهدى بن الحسن العسكرى (ع) وفى ذلك ما لا يحصى كثرة من الأحاديث الشريفة الدالة عليه، ولو شئت ذكرها جميعاً من طرق أهل السنّة وحدهم لما وسعها مجلد ضخم، ونشير هنا الى أحدها، وهو ما أخرجه الجوينى الشافعى فى فرائد السمطين، عن ابن عباس، عن النبى (ص) أ نّه قال: «أنا سيد النبيين، وعلى بن أبى طالب سيد الوصيين، وإنّ أوصيائى بعدى اثنا عشر أولهم علىّ بن أبى طالب، وآخرهم المهدىّ».ومن هنا احتمل بعض المحققين أن ما ذكرته كتب الحديث من أن جابر بن سمرة حينما خفى عليه بعض كلام النبى (ص) فسأل أباه عما خفى عليه من كلامه (ص) أجابه أبوه بأنه (ص) قال: «كلهم من قريش»، احتمل أن جواب الأب فيه تحريف، ذلك أن الروايات علّلت خفاء الجواب بـ «ثم لغط القوم وتكلموا» و «ضجّ الناس» «فقال كلمة أصمنيها الناس» «فصرخ الناس فلم اسمع ما قال» «فكبّر الناس وضجّوا» «فجعل الناس يقومون ويقعدون». فكل هذه التعليلات لا تتناسب مع العبارة التى لم يسمعها الراوى، لأن جعل الخلافة فى قريش أمر يسرّهم ولا يوجب اللغط والضجيج، والمتناسب مع هذه الحالات الموصوفة فى الروايات أن تكون الإمامة فى جماعة خاصة دون قريش، وهذا ما ذكره القندوزى فى ينابيع المودّة حيث ذكر أن العبارة التى قالها النبى (ص) هى «كلهم من بنى هاشم».وحينما يتّضح فشل التفسير الإخبارى المستقبلى لحديث الإمامة الاثنى عشرية من جهة وحقانية التفسير العقائدى له من جهة ثانية، وثبوت اسم الإمام المهدى (ع) فى سلسلة أئمة أهل البيت (ع) وكونه هو الإمام الثانى عشر الذى يصلح الله به الأرض بعدما تمتلئ بالفساد من جهة ثالثة، ولا يبقى مجال للشك فى ثبوت المفهوم العقائدى للمهدوية الذى تصرّ عليه مدرسة أهل البيت (ع).ذلك أن الترابط الصميمى بين مسألة الإمامة الاثنى عشرية والمسألة المهدوية، من شأنه أن ينقل الى المسألة المهدوية النتائج الثلاثة الحاسمة التى ظهرت على بساط البحث. فإن فشل التفسير المستقبلى للإمامة الاثنى عشرية يعنى بالنتيجة فشل هذا التفسير بالنسبة الى المهدوية أيضاً، كما أن ثبوت المنشأ السياسى لهذا التفسير على صعيد الإمامة الاثنى عشرية يعنى بالنتيجة ثبوته بحق المهدوية أيضاً، حيث أن مدرسة الخلفاء كما جعلت حديث الخلافة الاثنى عشرية إخبارياً مستقبلياً كتفريع منها

على القول بصحة نظرية السقيفة والخلافة وشرعيتها، كذلك رأت ضرورة الجنوح بالمسألة المهدوية صوب الرؤية المستقبلية فراراً من القول بإمامة أهل البيت (ع) وعدم شرعية نظام الخلافة، كما أن ثبوت حقّانية التفسير العقائدى لحديث الإمامة الاثنى عشرية يعنى بالنتيجة ثبوت حقّانية المفهوم العقائدى للمسألة المهدوية.

خصائص مفهوم المهدوية عند أهل البيت

اشاره

وبعدما تم الاثبات العقائدى لمفهوم المهدوية عند أهل البيت (ع) ندخل فى مرحلة جديدة من البحث، وهى مرحلة البحث فى الخصائص المترتبة على هذا المفهوم، واثبات أنها خصائص واقعية لها تحقق تأريخى وشرعى، وأن الاعتقاد بها لا يلزم منه خدشة عقائدية ولا مفارقة تأريخية، وهى:

تحقق ولادة الإمام المهدى فى أجواء سرّية مقصودة لابدمنها

اشاره

ومع ثبوت المفهوم المهدوى عند أهل البيت (ع) يصبح واضحاً أن من أبرز مقتضيات هذا المفهوم أن تكون ولادة الإمام الثانى عشر مقرونة بالسرّية والكتمان حتى تتسنى له الغيبة بعد ذلك، والاختفاء عن الأنظار الى مكان آمن يختاره الله له الى حين يأذن له بالظهور، باعتباره الكوكب الأخير فى سماء الإمامة، والإمام الذى لا إمام للمسلمين بعده، وهذا المعنى يستلزم حياة خفية وعمراً مديداً وولادة سرّية، حتى يبقى موقع الإمامة مشغولاً على مدى الدهر بإمام من الأئمة الاثنى عشر (ع) حى أوغائب.وحينئذ فمن غير المناسب أن يقال: لماذا لم تكن ولادة الإمام، ووجوده بعد أبيه أمراً مشهوداً، ملموساً لكل من أراد حتى نصدق به؟ فأنه لو كان كذلك لما تيسرت له الغيبة والاختفاء عن الأنظار، ولما كان هو الإمام الثانى عشر، ولكان الأئمة أكثر من هذا العدد، وهذا ما يخالف الأدلّة النبوية المذكورة آنفاً، فالولادة السرّية من المستلزمات والمقتضيات الطبيعية لتلك الأدلة.وهذا ما يوضح أن الاثبات الخارجى لقضية، من نوع قضية ولادة الإمام المهدى (عج) ووجوده وحياته، لا يمكن الاكتفاء فيه بالبحث التاريخى، ما دمنا نؤمن منذ البداية أنها مقرونة بدرجة شديدة من السرّية والكتمان، بل هو إثبات عقائدى تاريخى تقوم فيه العقيدة بلعب دور أساسى، فيما يلعب البحث التاريخى فيها دوراً تكميلياً، لأننا نذعن منذ البدء بوجود المنكرين لها والمشككين فيها، مادامت القضية سرية مكتومة، والمطلعون عليها عدد محدود من الناس، بنحو يسمح للآخرين حتّى وإن كانوا من الحلقات القريبة من الإمام، ومن خلصاء الشيعة بالانكار والتشكيك ماداموا محجوبين عن الحقيقة السرية المكتومة. بحيث لو سألهم سائل عن ولادة الإمام المهدى (عج) ووجوده وحياته، لأنكروا ذلك، ولنقلوا عن سائر الناس أنهم أيضاً لم يروه ولم يسمعوا بخبر ولادته ووجوده. فنحن لا نتحدث عن قضية مادية محسوسة بكل أبعادها وجهاتها وتخضع لتسجيل تاريخى كامل حتى نعتمد فى إثباتها وإنكارها على المؤرخين والرواة، وإنما نتحدث من حيث الأساس عن قضية غيبية سوى أنها ليست غيبية بنحو مطلق وإنما لها شعاع محسوس يطلع عليه أفراد منتخبون، يطلعون على ولادته فيشهدون عليها، وعلى غيبته الصغرى فيشهدون عليها، وعلى غيبته الكبرى فيشهدون عليها، ولهذا قلنا إن مفهوم أهل البيت (ع) عن المهدوية مفهوم عقائدى.بمعنى أن إنكار المنكرين لا يكون فى مثل قضية الإمام المهدى (ع) حجة تاريخية منطقية لإثبات عدم وجوده، ما دمنا قد اذعنا منذ البداية أن القضية سرية مكتومة، ومن الضرورى الاكتفاء من ناحية البحث التأريخى باثبات وجود من رآه واطلع عليه وسمع بوجوده وأذعن له دون الالتفات الى إنكار المنكرين الذى يعتبر ظاهرة طبيعية بالنسبة الى قضية سرية مكتومة.وهنا سنطوى بحثين، بحث فى الشواهد الدالة على ولادة الإمام واستمرار وجوده، وبحث آخر نناقش فيه أدلة المنكرين له (ع).

الشواهد التاريخية الدالة على وجود الإمام المهدى

اشاره

وهذه ناحية واسعة تظافرت عليها أرقام تاريخية كثيرة جداً نصنفها فى عدّة نقاط:

شهادة الإمام الحسن العسكرى بولادة ابنه الإمام المهدى

وفى ذلك أحاديث كثيرة نقلها اثبات الشيعة ورواتهم، ننقل منها:الحديث المروى عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن اسحاق،عن أبى هاشم الجعفرى قال: «قلت لأبى محمد (ع): جلالتك تمنعنى من مسألتك، فتأذن لى أن أسألك؟ فقال: سَلْ. قلت: يا سيدى هل لك ولد فقال: نعم».وفى هذا الحديث الكفاية سنداً ودلالة، فهذه كتب الرجال تشهد بجلالة محمد بن يحيى أبى جعفر العطار القمّى الذى لا زال قبره الى الآن معروفاً ومشهوراً يزار، وتشهد لعلو مكانة أحمد بن اسحاق بن عبدالله بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعرى أبى على القمّى، عند الإمام الحسن العسكرى (ع)، وتشهد أيضاً لمنزلة داود بن القاسم بن اسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب أبى هاشم الجعفرى. ثمّ انظر قلّة الوسائط فى إسناد هذا الحديث، الذى يُعبر عن أمثاله بقرب الإسناد الذى يعتبر من الشواهد المؤيدة للحديث.

شهادة القابلة

وهى أُخت إمام، وعمة إمام، وبنت إمام، العلوية الطاهرة حكيمة بنت محمد الجواد (ع)، وأُخت الإمام الهادى (ع)، وعمة الإمام العسكرى (ع)، حيث صرّحت بمشاهدة ولادة الإمام الحجة (ع) ليلة مولده،وهى التى تولّت أمر نرجس والدة الإمام الحجة (ع)، وبإذن من أبيه الحسن العسكرى (ع).

عشرات الشهادات برؤية الإمام

وهنا قائمة طويلة من الاسماء، ممن رأى الإمام المهدى واتّصل به وشهد برؤيته إياه، سجلتها المصادر التاريخية وجمعها بعض المصنفين فى مصنفات خاصة مثل: «كتاب تبصرة الولى فيمن رأى القائم المهدى» للسيد هاشم البحرانى ذكر فيه (۷۹) شخصاً شهد برؤية الإمام (ع) فى طفولته أو فى غيبته الصغرى، وذكر اسماء المصادر التى اعتمد عليها فى ذلك، وأحصى الشيخ أبو طالب التجليل التبريزى زهاء (۳۰۴) أشخاص ممن رأى الإمام (ع) وشهد به. وأحصى الشيخ الصدوق المتوفى سنة (۳۸۱ هـ) وعهده بغيبة الإمام المهدى (ع) قريب جداً (۶۴) شخصاً شهد برؤية الإمام (ع) وكان كثير منهم وكلاءاً له، وهم من مدن شتى.فمن وكلاءه:من أهل اذربيجان: القاسم بن العلاء.ومن الأهواز: محمد بن إبراهيم بن مهزيار.ومن بغداد: حاجز البلالى، وعثمان بن سعيد العمرى، ومحمد بن عثمان بن سعيد العمرى، والعطار.ومن الكوفة: العاصمى.ومن قم: أحمد بن إسحاق.ومن نيسابور: محمد بن شاذان.ومن همدان: البسامى، ومحمد بن أبى عبدالله الكوفى الأسدى، ومحمد بن صالح.أمّا من رآه (ع) من غير الوكلاء، منهم:من أهل اصفهان: ابن باشاذاله.ومن الأهواز: الحصينى.ومن بغداد: أحمد بن الحسن، وإسحاق الكاتب من بنى نوبخت، وأبو عبدالله الخيبرى، وأبو عبدالله بن فروخ، وأبو عبدالله الكندى، وأبو القاسم بن أبى حليس، وأبو القاسم بن دبيس، ومسرور الطباخ مولى أبى الحسن (ع)، والنيلى، وهارون الفزارى.ومن الدينور: أحمد ابن أخى الحسن بن هارون، وعمه الحسن بن هارون.ومن الرى: أبو جعفر الرفّاء، وعلىّ بن

محمد، والقاسم بن موسى، وابن القاسم بن موسى، وأبو محمد بن هارون، ومحمد بن محمد الكليني.ومن قزوين: عليّ بن أحمد، ومرداس.ومن قم: الحسن بن النضر، والحسين بن يعقوب، وعليّ بن محمد بن إسحاق، ومحمد ابن إسحاق، ومحمد بن محمد.ومن مصر: أبو رجاء.ومن نصيبين: أبو محمد بن الوجناء النصيبي.ومن همدان: جعفر بن حمدان، ومحمد بن كشمرد، ومحمد بن هارون.ومن اليمن: ابن الأعجمي، والجعفري، والحسن بن الفضل بن يزيد، وأبوه الفضل بن يزيد، والشمشاطي.كما ذكر أيضاً من رآه من أهل شهرزور، والصيمرة، وفارس، وقابس ومرو.فهل يعقل اتفاق هؤلاء جميعاً وتواطؤهم على الكذب؟ وفيهم اثبات ثقات صرحت كتب الرجال بتوثيقهم؟

تعامل السلطة العباسية مع الحدث

لقد تعاملت السلطة العباسية بعد وفاة الإمام الحسن العسكرى (ع) مع عائلته تعاملاً يدل على خيفتها من مولود خطير خفى عنها، فراحت تبحث عنه بكل ما أوتيت من وسيلة وقدرة، حيث أمر المعتمد العباسى (ت ٢٧٩ هـ) شرطته بتفتيش دار الإمام الحسن العسكرى تفتيشاً دقيقاً والبحث عن الإمام المهدى (ع)، وأمر بحبس جوارى أبى محمد (ع)، واعتقال حلائله يساعدهم على ذلك جعفر الكذّاب، «وجرى على مخلّفى أبى محمد (ع) بسبب ذلك كلّ عظيمة، من اعتقال، وحبس وتهديد، وتصغير، واستخفاف، وذلٍّ».كلّ هذا والإمام المهدى (ع) فى الخامسة من عمره، ولا يهم المعتمد العمر بعد أن عرف أ نّ هذا الصبى هو الإمام الذى سيهد عرش الطاغوت لما شاع وانتشر من الخبر، بأنّ ثانى عشر أهل البيت (ع) سيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، فكان موقفه من المهدىّ، كموقف فرعون من موسى (ع) الذى ألقته اُمّه ـ خوفاً عليه ـ فى اليمّ صبياً.ولم يكن المعتمد العباسى وحده قد عرف هذه الحقيقة، وإنّما عرفها من كان قبله كالمعتز، والمهتدى، ولهذا كان الإمام الحسن العسكرى (ع) حريصاً على أن لا ينتشر خبر ولادة الإمام المهدى إلاّ بين أفراد منتخبين من شيعته ومواليه.لقد كان تصرُّف السلطة كاشفاً عن أ نّها وسائر الناس قد أدركوا تماماً أ نّ حديث جابر بن سمرة لا ـ ينطبق عليهم ولا ـ على من سبقهم من الاُمويين، وإنّما مصداقه الوحيد هم أهل بيت النبوّة، ومهبط الوحى والتنزيل.وإلاّ ـ فأىّ خطر يهدد كيانهم فى طفل لم يتجاوز خمس سنين؟! لو لم يعتقدوا أ نّه هو المهدى المنتظر الذى تحدثت عنه الأحاديث المتواترة. يقول أحد الباحثين: ولو لم يكن مولوداً حقاً فما معنى حبس الجوارى وبث القابلات لتفتيش من بهنّ حمل، ومراقبتهنّ مدة لا تصدّق، إذ بقيت إحداهنّ تحت المراقبة لمدة سنتين! كلّ هذا مع مطاردة أصحاب الإمام العسكرى (ع) والتشنيع عليهم، مع بث العيون للتجسّس عن خبر المهدى (ع)، وكبس داره بين حين وآخر.ثم ما بال السلطة لم تقتنع بما زعمه جعفر من أنّ أخاه (ع) مات ولم يخلّف؟أما كان بوسعها أن تعطيه حقّه من الميراث وينتهى كلّ شيء من غير هذا التصرُّف الأحمق الذى يدلّ على ذعرها وخوفاً من ابن الحسن (عج)؟!نعم، قد يقال بأنّ حرص السلطة على إعطاء كل ذى حقٍّ حقه هو الذى دفعها الى التحرى عن وجود الولد لكى لا يستقل جعفر بالميراث وحده بمجرد شهادته!فنقول: ليس من شأن السلطة الحاكمة آنذاك أن تتحرّى عن هذا الأمر بمثل هذا التصرُّف المريب، بل كان على الخليفة العباسى أن يحيل دعوى جعفر الكذاب الى أحد القضاة، لا سيّما وأنّ القضية من قضايا الميراث التى يحصل مثلها كلّ يوم مرات، وعندها سيكون بوسع القاضى أن يفتح محضراً تحقيقياً، فيستدعى مثلاً عمة الإمام الحسن العسكرى (ع)، وأُمه، وجوارى الإمام، والمقربين الى الإمام الحسن العسكرى من بنى هاشم، ثمّ يستمع الى أقوالهم، ويثبت شهاداتهم، ثمّ ينهى كل شيء، ولكن وصول هذه القضية الى أعلى رجل فى السلطة، وبهذه السرعة ولمّا يدفن الإمام الحسن العسكرى (ع)، وخروج القضية عن دائرة القضاء مع أ نّها من اختصاصاته، ومن ثم تصرف السلطة الغاشمة على نحو ما مرّ، كل ذلك يقطع بأنّ السلطة كانت على يقين بأن المهدى الموعود هو الحلقة الأخيرة من حلقات السلسلة المطهّرة التى لا يمكن أن تنقطع بموت الإمام الحادى عشر (ع)، خصوصاً بعد أن تواتر لدى الجميع قوله (ص): «وإنّهما ـ أى: الكتاب، والعترة ـ لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض» ومعنى عدم ولادة المهدى (ع)، أو عدم استمرار وجوده، انقراض العترة، وهذا ما لا ـ يقوله أحد ممّن تسمى (بإمرة المؤمنين) من

العباسيين ;لأ نّه تكـذيب لنبيّنا الأعظم (ص)، بل لا يقوله أحـد من المسـلمين إلاّ من هان عليه أمر هـذا التكـذيب، أو من خدع نفسه بتأويل حديث الثقلين وصرف دلالته الى ما لم يأت به سلطان مبين».

اعترافات علماء السنة بولادة الإمام المهدى

قال السـيد هاشم ثامر العميـدى فى هـذا الصـدد:«بلغت اعترافات الفقهاء، والمحـدثين، والمفسـرين، والمؤرخين، والمحققين، والاُدباء، والكتّاب من أهل السـنّة أكثر من مائة اعتراف صـريح بولادة الإمام المهدى (ع)، وقد صـرح ما يزيد على نصـفهم بأنّ الإمام محمد بن الحسن المهـدىّ عجل الله تعالى فرجه الشـريف، هو الإمام الموعود بظهوره فى آخر الزمان.وقـد رتّبت هـذه الاعترافات بحسب وفيات أصحابها، فوجدتها متصلة الأزمان، بحيث لا تتعذر معاصرة صاحب التصريح اللاحق، لصاحب التصريح السابق، وذلك ابتداءً من عصر الغيبـة الصـغرى الى وقتنا الحاضـر، وسوف نـذكر أقوال بعضـهم التى وقفت عليها فى مصادرهم ريثما يأتى دورهم، مع الاكتفاء بـذكر اسـماء الآخرين فقط دون التعرض لأقوالهم ;لتعـذر تسـجيلها فى هذا الفصل، حيث بلغت أقوال تسـعة وعشـرين واحداً منهم فى كتاب إلزام الناصب ما يزيد على مائة صـحيفة،فى المتن دون الإشارة الى مصدره فى الهامش، هو دليل أخذنا ذلك من كتب الشيعة الإمامية التى سـبقت الى هـذا المجـال مع اعتنائها بتسـجيل رقم الجزء، ورقم الصـحيفة مع مكان وسـنة الطبع ;ولعلّ من أوسـعها فى هـذا الباب وربما اضطرّ الى تعيين واسطته اليهم بدقة، وقد فاته ما يقرب من ثلاثين اسماً، وكان جلّ اعتمادنا عليه، ولم نستدرك عليه شيئاً ;لأنّ ما فاته سبقنى اليه غيرى،والترتيب بحسب القرون».ثم ذكر اسماء (١٢٨) مصنفاً من مصنفات أهل السنّة، ذكر الإمام المهدى فى كتاب من كتبه بعنوان الإمام الثانى عشر من أئمة أهل البيت (ع).

وقفة مع المنكرين

اتّضـح مما سـبق أن المسألـة المهدوية مسألة عقائدية قبل أن تكون تاريخية، وإن الدليل عليها عقائدى قبل أن يكون تاريخياً، واتّضـح أيضـاً عـدد من الأدلّة التاريخيـة الدالـة عليه، واتّضـح أيضـاً أن قضـية سـرية غيبيـة، كقضـية الإمام المهـدى (ع) تسـتلزم بطبعها وجود المنكرين لهـا، فـإن الـذى يختفى عن أنظـار النـاس لغرض من الأغراض، يقصـد من ذلك أن لا يراه أحـد من الناس، بحيث إذا سُـئل النـاس عنه قالوا: لم نره، حتى لو كانوا من أقرب المقربين إليه، وذكرنا أن انكار مثل هؤلاء فى قضـية مخفيـة لا يصـح دليلاً على عـدم الوجود، وهـذه هى المفارقـة الأساسـية التى وقع فيهـا منكروا ولاـدة ووجود الإمـام المهـدى (ع)، فانّهم ذهبوا يفتشون فى التاريـخ عن شواهد من هذا القبيل فلما عثروا على شىء منها اعتبروه دليلاً على عدم ولادة ووجود الإمام المهدى (ع)، مثل اختلاف الشيعة فى زمن الولادة وفى اسم الإمام، وشـهادة جعفر الكـذاب عم الإمام المهـدى بأن أخاه مات ولم يعقّب.ومناقشـتنا الأساسـية مع هؤلاء أن المنهج التـاريخى، صالـح للتحكيم فى مسائـل محسوسـة تقع بكاملهـا تحت نظر الرواة والمؤرخين، مثل واقعـة صـفين، وواقعـة كربلاء... الـخ، وليس صالحاً للتحكيم فى مسائل غيبيـة عقائديـة فى جوهرها، ولها شـعاع محسوس عنـد افراد مُنتخبين بحيث لو سُـئل عامة الناس عنها لأنكروها. فكيف تجعلون إنكار عامة الناس دليلاً على انعدام قضية يؤمن أصحابها سلفاً بأنها ليست قابلة للمشاهدة الحسيّة، إلاّ من قبل أفراد منتخبين؟إن على من يريـد مناقشـة المسألـة المهدويـة أن يبـدأ معها من بدايتها العقائدية، ولا يبدأ معها من ذيولها التاريخية، لأن القضـية السـرية المكتومـة بنحو مقصود، عن أعين أقرب المقرّبين لاـ يمتنع عليهـا ظهور اختلافـات فيهـا، من قبيـل اختلاف زمن ولادة الإمـام، واختلاـف اسم اُم الإمـام، ولاـ يضـرها شـهادة كشـهادة جعفر الكـذاب، لأن الجواب الطبيعى فى مثل هـذه الحالـة أن يقال: ان الاختلاف فى سنة الولادة، واسم أم الإمام، كان ظاهرة طبيعية ناشئة من إصرار الإمام الحسن العسكرى (ع) على اخفاء تفاصيل القضية اخفـاءاً تامـاً، عن أعين أقرب المقربين تحرزاً من وصول النبـأ الى السـلطة العباسـية، كمـا أن شـهادة جعفر الكـذاب بأن أخاه مات ولم يعقّب كـانت من هـذا القبيـل، حيث أراد الإمـام الحسن العسـكرى (ع)، أن يخفى مولوده على أخيه ويظهر الأمر أمامه كما لو لم يكن

للإمام (ع) نسل من بعده وكان هذا السلوك من قبل الإمام الحسن العسكرى (ع)، تجاه أخيه منطقياً حتى لو لم يكن أخوه كذّاباً مشهوداً عليه بالفسق، كيف وجعفر الكذّاب مشهود عليه بذلك.

الامامة المبكرة

ومن مقتضيات المفهوم المهدوى عند أئمة أهل البيت (ع) الاعتقاد بالإمامة المبكرة للإمام المهدى (ع)، وهذه الخصوصية تارة ننظر إليها من الزواية الإسلامية بقصد البرهنة والإثبات ودفع ما يمكن أن يرد عليها من اشكال دينى، وأُخرى من زاوية الواقع لبيان أن هذه الإمامة ; إمامة واقعية تحمل المؤهلات الكافية، وليست إمامة مفترضة أو مدّعاة.وإذا نظرنا إليها من الزاوية الإسلامية وجدنا ضرورة تمييز مسألة الإمامة أوّلاً، هل هى مسألة عقائدية؟ أم أنها مسألة تشريعية؟ فإن كانت مسألة عقائدية كما هو معتقد الشيعة فإننا نجد القرآن يصرّح بثبوت النبوّة وهى مسألة عقائدية للصبى قال تعالى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً)، وإن كانت مسألة تشريعية، فإن من واضحات الشريعة الاسلامية ثبوت الحجر على الصغير، ومن كان محجوراً عليه، فاقداً للولاية على نفسه كيف تتاح له الولاية على غيره؟ فلا تكون إمامة الصبى مشروعة حينئذ.وقد اختلف المسلمون فى هذه المسألة، فمدرسة المذاهب الأربعة جعلت الخلافة والإمامة والولاية من شؤون الشريعة، وأعمال المكلفين، بينما آمنت مدرسة أهل البيت (ع) بأنها مسألة عقائدية ومن جملة أُصول الدين التى هى من شؤون رب العالمين، وليست من خصائص المكلّفين وأعمال العباد. وحينئذ فمدرسة أهل البيت (ع) حينما تعتقد بالإمامة المبكرة لعدد من الأئمة (ع) ومن جملتهم الإمام المهدى (ع) منسجمة مع نفسها فى هذا المضمار لا يرد عليها اشكال من جهة عقائدية مادام القرآن يصرّح بالنبوة المبكرة ليحيى (ع)، ولا من جهة تشريعية مادامت المسألة من وجهة نظر أهل البيت (ع) خارجة عن نطاق التشريع وداخلة فى نطاق العقيدة، وأحكام الشريعة فى باب الحجر على الصغير تنطبق على المكلّفين ولا تنطبق على الله سبحانه وتعالى، لأن الشريعة خطابات إلهية موجهة إلى المكلّفين وليست موجهة إلى الله نفسه، فلا مُلزم له بها، والنبوة المُبكرة ليحيى (ع) تدلل على أنه تعالى لم يُلزم نفسه بها.وهكذا يتّضح أن غرضنا من الاستشهاد بنبوة يحيى (ع) هو لبيان أن الإمامة كالنبوة مسألة عقائدية، وأن المسألة العقائدية لا تخضع لمقاييس الناس، بل لا تخضع حتى لمقاييس الشريعة التى جاءت لتنظيم سلوك المكلفين فلا يصح تطبيقها على رب العالمين، فهى ـ أى نبوة يحيى ـ تفيدنا أن المسألة العقائدية تتقوم بالدليل والبرهان، فإذا قام البرهان العقائدى على إمامة الصغير فلابد من الإذعان بها كما أذعنا بنبوة الصغير حينما قام البرهان العقائدى عليها، وحينئذ فلا معنى لما قد يقال من أن الاستشهاد بنبوة يحيى (ع) لا محلّ له، لأنها مذكورة صراحة فى القرآن بخلاف المسألة المهدوية.ومن هنا فإن اعتراض ابن حجر الهيثمى وأمثاله على إمامة الإمام المهدى ساقط لا أساس له، حيث كتب وبأُسلوب غير مناسب يقول: «ثم المقرر فى الشريعة المطهرة أن الصغير لا تصح ولايته، فكيف ساغ لهؤلاء الحمقى المغفلين ان يزعموا إمامة من عمره خمس سنين...».فقد اتّضح ان هذا ليس من مقررات الشريعة وانما من مقررات فقههم الذى لا يصح لهم الزامنا به.وإذا نظرنا إليها من زاوية الواقع التأريخى وجدنا أن المهدى (ع) خَلفَ أباه فى إمامة المسلمين وهو ابن خمس سنين، وهذا يعنى أنه كان إماماً بكلّ ما فى الإمامة من محتوىً فكرى وروحى فى وقت مبكر جداً من حياته الشريفة.يقول السيد الشهيد الصدر (ره) فى هذا المضمار:ظاهرة الإمامة المبكرة بلغت ذروتها فى الإمام المهدى والإمام الجواد، ونحن نسميها ظاهرة لأنها كانت بالنسبة إلى عدد من آباء المهدى (ع) تشكل مدلولاً حسيّاً عمليّاً عاشه المسلمون، ووعوه فى تجربتهم مع الإمام بشكل وآخر، ولايمكن أن نُطالب بإثبات لظاهرة من الظواهر أوضح وأقوى من تجربة أُمّة،النقاط التالية:أ ـ لم تكن إمامة الإمام من أهل البيت مركزاً من مراكز السلطان، والنفوذ التى تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن، ويدعمها النظام الحاكم كإمامة الخلفاء الفاطميين، وخلافة الخلفاء العباسيين، وإنما كانت تكتسب ولاء قواعدها الشعبية الواسعة عن طريق التغلغل الروحى، والإقناع الفكرى لتلك القواعد بجدارة هذه الإمامة لزعامة الإسلام، وقيادته على أُسس روحية وفكرية.ب ـ إنّ هذه القواعد الشعبية بنيت منذ صدر الإسلام، وازدهرت واتسعت على عهد الإمامين الباقر والصادق (ع)، وأصبحت المدرسة التى

رعاها هذان الإمامان فی داخل هذه القواعد تشكل تياراً فكرياً واسعاً فی العالم الإسلامی، يضم المئات من الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والعلماء فی مختلف ضروب المعرفة الإسلامية والبشرية المعروفة وقتئذ، حتى قال الحسن بن علی الوشا: إنی دخلت مسجد الكوفة فرأيت فيه تسعمائة شيخ كلهم يقولون حدثنا جعفر بن محمد.ج ـ إن الشروط التی كانت هذه المدرسة وما تُمثله من قواعد شعبية فی المجتمع الإسلامی، تؤمن بها وتتقيد بموجبها فی تعيين الإمام والتعرف على كفائته للإمامة، شروط شديدة ;لأنها تؤمن بأنّ الإمام لا يكون إماماً إلاّ إذا كان أعلم علماء عصره.د ـ إنّ المدرسة وقواعدها الشعبية كانت تقدم تضحيات كبيرة فی سبيل الصمود على عقيدتها فی الإمامة ;لأنها كانت فی نظر الخلافة المعاصرة لها تشكل خطاً عدائياً، ولو من الناحية الفكرية على الأقل، الأمر الذی أدّى إلى قيام السلطات وقتئذ وباستمرار تقريباً حملات من التصفية والتعذيب، فقُتل من قُتل، وسُجن من سُجن، ومات فی ظلمات المعتقلات المئات، وهذا يعنی أنّ الاعتقاد بإمامة أئمة أهل البيت كان يكلّفهم غالياً،يكن له من الإغراءات سوى ما يحسّ به المعتقد أو يفترضه من التقرب إلى الله تعالى والزلفی عنده.هـ ـ إنّ الأئمة الذين دانت هذه القواعد لهم بالإمامة لم يكونوا معزولين عنها، ولا متقوقعين فی بروج عالية شأن السلاطين مع شعوبهم، ولم يكونوا يحتجبون عنهم إلاّ أن تحجبهم السلطة الحاكمة بسجن أو نفی، وهذا ما نعرفه من خلال العدد الكبير من الرواة والمحدثين عن كلّ واحد من الأئمة الأحد عشر، ومن خلال ما نقل من المكاتبات التی كانت تحصل بين الإمام ومعاصريه، وما كان الإمام يقوم به من أسفار من ناحية، وما كان يبثّه من وكلاء فی مختلف أنحاء العالم الإسلامی من ناحية اُخرى، وما كان قد اعتاده الشيعة من تفقّد أئمتهم وزيارتهم فی المدينة المنورة عندما يؤمون الديار المقدسة من كلّ مكان لأداء فريضة الحج مستمراً بدرجة واضحة بين الإمام وقواعده الممتدة فی أرجاء العالم الإسلامی بمختلف طبقاتها من العلماء وغيرهم.و ـ إن الخلافة المعاصرة للأئمة (ع) كانت تنظر إليهم وإلى زعامتهم الروحية والإمامية بوصفها مصدر خطر كبير على كيانها ومقدّراتها، وعلى هذا الأساس بذلت كل جهودها فی سبيل تفتيت هذه الزعامة، وتحملت فی سبيل ذلك كثيراً من السلبيات، وظهرت أحياناً بمظاهر القسوة والطغيان حينما اضطرها تأمين مواقعها إلى ذلك، وكانت حملات الاعتقال والمطاردة مستمرة للأئمة أو الاشمئزاز عند المسلمين وللناس الموالين على اختلاف درجاتهم.إذا أخذنا هذه النقاط الست بعين الاعتبار، وهی حقائق تاريخية لا تقبل الشك، أمكن أن تخرج بنتيجة وهی: أنّ ظاهرة الإمامة المبكرة كانت ظاهرة واقعية ولم تكن وهماً من الأوهام ;لأنّ الإمام الذی يبرز على المسرح وهو صغير فيعلن عن نفسه إماماً روحياً وفكرياً للمسلمين، ويدين له بالولاء والإمامة كلّ ذلك التيار الواسع، لابدّ أن يكون على قدر واضح وملحوظ بل وكبير من العلم والمعرفة وسعة الاُفق والتمكن من الفقه والتفسير والعقائد ; لأنه لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تقتنع تلك القواعد الشعبية بإمامته، مع ما تقدم من أنّ الأئمة كانوا فی مواقع تتيح لقواعدهم التفاعل معهم وللأضواء المختلفة أن تُسلّط على حياتهم وموازين شخصيتهم. فهل ترى أنّ صبيّاً يدعو إلى إمامة نفسه وينصب منها علماً للإسلام وهو على مرأىً ومسمع جماهير قواعده الشعبية، فتؤمن به وتبذل فی سبيل ذلك الغالی من أمنها وحياتها بدون أن تكلّف نفسها اكتشاف حاله، وبدون أن تهزّها ظاهرة هذه الإمامة المبكرة لاستطلاع حقيقة الموقف وتقييم هذا الصبی الإمام؟يتحركوا لاستطلاع المواقف، فهل يمكن أن تمرّ المسألة أياماً وشهوراً بل أعواماً دون أن تكتشف الحقيقة على الرغم من التفاعل الطبيعی المستمر بين الصبی الإمام وسائر الناس؟ وهل من المعقول أن يكون صبيّاً فی فكره وعلمه حقاً ثمّ لا يبدو ذلك من خلال هذا التفاعل الطويل؟وإذا افترضنا أنّ القواعد الشعبية لإمامة أهل البيت لم يُتح لها أن تكتشف واقع الأمر، فلماذا سكتت الخلافة القائمة ولم تعمل لكشف الحقيقة إذا كانت فی صالحها؟ وما كان أيسر ذلك على السلطة القائمة لو كان الإمام الصبی صبياً فی فكره وثقافته كما هو المعهود فی الصبيان، وما كان أنجحه من اُسلوب أن تقدم هذا الصبی إلى شيعته وغير شيعته على حقيقته، وتبرهن على عدم كفاءته للإمامة والزعامة الروحية والفكرية، فلئن كان من الصعب الإقناع بعدم كفاءة شخص فی الأربعين أو الخمسين قد أحاط بقَدر كبير من ثقافة عصره لتسلّم الإمامة، فليس هناك صعوبة فی الإقناع بعدم كفاءة صبی اعتيادی مهما كان ذكياً وفطناً للإمامة بمعناها الذی يعرفه الشيعة الإماميون،وقتئذ.إنّ التفسير الوحيد لسكوت الخلافة المعاصرة عن اللعب بهذه الورقة،المبكرة ظاهرة حقيقية وليست شيئاً

مصطنعاً.والحقيقة أنها أدركت ذلك بالفعل بعد أن حاولت أن تلعب بتلك الورقة فلم تستطع، والتأريخ يحدثنا عن محاولات من هذا القبيل وفشلها،واجه فيه الصبيّ الإمامُ إحراجاً يفوق قدرته أو يزعزع ثقة الناس فيه.وهذا معنى ما قلناه من أن الإمامة المبكرة ظاهرة واقعية فى حياة أهل البيت (ع) وليست مجرد افتراض، كما أنّ هذه الظاهرة الواقعية لها جذورها وحالاتها المماثلة فى تراث السماء الذى امتد عِبْرَ الرسالات والزعامات الربّانية.ويكفى مثالاً لظاهرة الإمامة المبكرة فى التراث الربانى لأهل البيت (ع) يحيى (ع) إذ قال الله سبحانه وتعالى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوّة وآتيناه الحكم صبيّاً).ومتى ثبت أنّ الإمامة المبكرة ظاهرة واقعية ومتواجدة فعلًا فى حياة أهل البيت لم يعد هناك اعتراض فيما يخصّ إمامة المهدى (ع) وخلافته لأبيه وهو صغيروأقصد بالإمكان العلمي: أن هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً لى أو لك، أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعاصرة، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير إتجاهاته المتحركة إلى ما يبرر رفض إمكان هذه الأشياء ووقوعها وفقا لظروف ووسائل خاصة، فصعود الإنسان إلى كوكب الزهرة لا يوجد فى العلم ما يرفض وقوعه، بل إن اتجاهاته القائمة فعلًا تشير إلى إمكان ذلك، وإن لم يكن الصعود فعلًا ميسوراً لى أو لك ; لأن الفارق بين الصعود إلى الزهرة والصعود إلى القمر ليس إلّا فارق درجة، ولا يمثل الصعود إلى الزهرة إلّا مرحلة تذليل الصعاب الإضافية التى تنشأ من كون المسافة أبعد، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً وإن لم يكن ممكناً عملياً فعلًا. وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس فى كبد السماء فإنه غير ممكن علمياً، بمعنى أن العلم لا أمل له فى وقوع ذلك، إذ لا يتصور علمياً، وتجريبياً إمكانية صنع ذلك الدرع الواقى من الإحتراق بحرارة الشمس، التى تمثل أُتوناً هائلاً مستعراً بأعلى درجة تخطر على بال إنسان.وأقصد بالإمكان المنطقى أو الفلسفى: أن لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية ـ أى سابقة على التجربة ـ ما يبرر رفض الشىء والحكم باستحالته.فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوى وبدون كسر إلى نصفين ليس له إمكان منطقى ; لأن العقل

الغيبة المستلزمة لعمر مفتوح مع انفتاح الزمن

من مقتضيات وخصائص المفهوم المهدوى عند أهل البيت (ع) هو الاعتقاد بغيبة الإمام (ع) عن الأنظار، واستمراره على ذلك إلى حين يأذن الله سبحانه وتعالى له بالظهور، وإثبات هذه الخصوصية ننجزه فى مرحلتين:۱ ـ مرحلة إثبات امكانية العمر الطويل.۲ ـ مرحلة إثبات تحقق ذلك فعلًا بالنسبه للإمام المهدى (ع) وغيبته فيه.أولاً: مرحلة إثبات امكانية العمر الطويل الى آخر الزمانفأن المشكلة الأساسية التى تواجه المفهوم المهدوى عند أهل البيت (ع) تتمثل فى ما يستلزمه هذا المفهوم من عمر مفتوح مع إنفتاح الزمن وممتد بامتداده وقد عولجت هذه المشكلة بإجابات كثيرة نورد هنا إجابة السيد الشهيد الصدر عليها، فقد كتب يقول:هل بالإمكان أن يعيش الإنسان قروناً كثيرة كما هو المفترض فى هذا القائد المنتظر لتغيير العالم، الذى يبلغ عمره الشريف فعلًا أكثر من ألف ومائة وأربعين سنة، أى حوالى مرة بقدر عمر الإنسان الاعتيادى الذى يمر بكل المراحل الاعتيادية من الطفولة إلى الشيخوخة؟كلمة الإمكان هنا تعنى أحد ثلاثة معان: الإمكان العملى، والإمكان العلمى، والإمكان المنطقى أو الفلسفى.وأقصد بالإمكان العملى: أن يكون الشىء ممكنا على نحو يتاح لى أو لك، أو لإنسان آخر فعلًا أن يحققه، فالسفر عبر المحيط، والوصول إلى قاع البحر، والصعود إلى القمر، أشياء أصبح لها إمكان عملى فعلًا. فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلًا بشكل وآخر.۱ ـ الكلام فى وقته دقيق علمياً، فهو يقول: انه ممكن علمياً، ولكنه لم يكن قد تحقق فعلاً، والواقع أن كثيراً من الإنجازات فى عالم الفضاء، وتسيير المركبات الفضائية إلى كواكب وتوابع الأرض وغيرها قد أصبحت حقائق فى أواخر القرن العشرين.يدرك ـ قبل أن يمارس أى تجربة ـ أن الثلاثة عدد فردى وليس زوجاً، فرداً وزوجاً فى وقت واحد، وهذا تناقض، والتناقض مستحيل منطقياً. ولكن دخول الإنسان فى النار دون أن يحترق،وصعوده للشمس دون أن تحرقه الشمس بحرارته ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية، إذ لا تناقض فى افتراض أن الحرارة لا تتسرب من الجسم الأكثر حرارةً إلى الجسم الأقل حرارةً، وإنما هو مخالف للتجربة التى أثبتت تسرب الحرارة من الجسم الأكثر حرارةً إلى الجسم الأقل حرارةً إلى أن يتساوى الجسمان فى الحرارة.وهكذا نعرف أن الإمكان المنطقى أوسع دائرة من الإمكان العلمى، وهذا أوسع دائرة من

الإمكـان العملى.ولاـ شـك فى أن امتـداد عمر الإنسـان آلاـف السـنين ممكن منطقيـاً ;لأن ذلك ليس مسـتحيلًا من وجهـة نظر عقلية تجريدية، ولا يوجد فى افتراض من هذا القبيل أى تناقض ; لأن الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع، ولا نقاش فى ذلك.كما لا شك أيضاً ولا نقاش فى أن هـذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكاناً عملياً، على نحو الإمكانات العمليـة للنزول إلى قاع البحر أو الصـعود إلى القمر، ذلـك لأن العلم بوسائله وأدواته الحاضـرة فعلًا، والمتاحـة من خلال التجربـة البشـرية المعاصـرة، لا تسـتطيع أن تمـدد عمر الإنسان مئات السنين، ولهذا نجد أن أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرة على تسخير إمكانات العلم، لا يتاح لهم من العمر إلّا بقدر ما هو مألوف.وأما الإمكان العلمى فلا يوجـد علمياً اليوم ما يبرر رفضه من الناحيـة النظريـة. وهـذا بحث يتصل فى الحقيقة بنوعية التفسـير الفسـلجى لظاهرة الشـيخوخة والهرم لدى الإنسان، فهل تعبر هذه الظاهرة عن قانون طبيعى يفرض على أنسـجة جسم الإنسان وخلاياه ـ بعد أن تبلغ قمة نموها ـ أن تتصـلب بالتدريج وتصـبح أقل كفاءة للاستمرار فى العمل، إلى أن تتعطل فى لحظة معينة، حتى لو عزلناها عن تاثير أى عامل خارجى؟ أو أن هذا التصـلب وهذا التناقص فى كفاءة الانسجة والخلايا الجسمية للقيام بأدوارها الفسيولوجية، نتيجة صراع مع عوامـل خارجيـة كالميكروبـات أو التسـمم الـذى يتسـرب إلى الجسم من خلاـل مـا يتنـاوله من غـذاء مكثف أو أى عـامل آخر؟وهـذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه، وهو جـاد فى الإجابـة عنه، ولاـ يزال للسؤال أكثر من جواب على الصـعيد العلمى.فـإذا أخـذنا بوجهـة النظر العلميـة التى تتجه إلى تفسـير الشـيخوخة والضـعف الهرمى، بوصـفه نتيجة صـراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية معينـة، فهذا يعنى أن بالإمكان نظرياً، إذا عزلت الأنسـجة التى يتكون منها جسم الإنسان عن تلك المؤثرات المعينة، أن تمتد بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشـيخوخة وتتغلب عليها نهائياً.وإذا أخـذنا بوجهة النظر الاُخرى التى تميل إلى افتراض الشـيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والأنسـجة الحيـة نفسـها، بمعنى أنها تحمل فى احشائها بذرة فنائها المحتوم، مروراً بمرحلة الهرم والشـيخوخة وانتهاءً بالموت.أقول: إذا أخـذنا بوجهـة النظر هذه، فليس معنى هذا عدم افتراض أى مرونة فى هذا القانون الطبيعى، بل هو ـ على افتراض وجوده ـ قانون مرن; لأننا نجـد فى حياتنا الاعتياديـة ; ولأن العلماء يشاهـدون فى مختبراتهم العلميـة، أن الشـيخوخة كظاهرة فسـيولوجية لا زمنيـة، قـد تأتى مبكرة، وقـد تتـأخر ولاـ يظهر إلاّ ـ فى فترة متـأخرة، حتى أن الرجل قـد يكون طاعناً فى السن ولكنه يملك أعضاء لينـة، ولا تبـدو عليه اعراض الشـيخوخة كما نص على ذلك الأطباء. بل إن العلماء اسـتطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعى المفترض، فأطـالوا عمر بعض الحيوانـات مئـات المرات بالنسـبة إلى اعمارهـا الطبيعيـة ; وذلـك بخلق ظروف وعوامـل تؤجـل فاعليـة قـانون الشـيخوخة.وبهـذا يثبت علمياً أن تأجيل هـذا القانون بخلق ظروف وعوامل معينـة أمر ممكن علمياً، ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلًا هـذا التأجيـل بالنسـبة إلى كائن معقـد معين كالإنسان، فليس ذلك إلّا لفارق درجـة بين صـعوبة هـذه الممارسـة بالنسـبة إلى الإنسان، وصـعوبتها بالنسبة إلى أحياء اُخرى. وهذا يعنى أن العلم من الناحية النظرية وبقدر ما تشـير إليه اتجاهاته المتحركة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض إمكانيـة إطالـة عمر الإنسان، سواءً فسـرنا الشـيخوخة بوصـفها نتاج صـراع واحتكاك مع مؤثرات خارجيـة أو نتاج قانون طبيعى للخليّة الحيّة نفسـها يسير بها نحو الفناء.ويتلخص من ذلك: أن طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً، ولكنه لاـ يزال غير ممكن عملياً، إلاّـ أن اتجاه العلم سائر فى طريق تحقيق هـذا الإمكان عبر طريق طويل.وعلى هـذا الضوء نتناول عمر المهـدى (ع) وما اُحيط به من اسـتفهام أو اسـتغراب، ونلاحظ:إنه بعـد أن ثبت إمكان هـذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً، وثبت أن العلم سائر فى طريق تحويل الامكان النظرى إلى إمكان عملى تدريجا، لا يبقى للاستغراب محتوىً إلّا استبعاد أن يسبق المهدى العلم نفسه، فيتحول الإمكان النظرى إلى إمكان عملى فى شـخصه قبل أن يصل العلم فى تطوره إلى مسـتوى القدرة الفعلية على هذا التحويل، فهو نظير من يسـبق العلم فى اكتشاف دواء ذات السـحايا أو دواء السرطان.وإذا كانت المسألة هى أنه كيف سبق الإسلام ـ الذى صمم عمر هـذا القائـد المنتظر ـ حركـة العلم فى مجال هـذا التحويل؟فالجواب: إنه ليس ذلك هو المجال الوحيـد الذى سـبق فيه الإسـلام حركـة العلم.اوليست الشـريعة الإسلامية ككل قد سبقت حركة العلم والتطور الطبيعى للفكر الإنسانى قروناً عديدة؟أوَلَم تناد بشعارات طرحت خططاً للتطبيق لم ينضـج الإنسان للتوصل إليها فى حركته المسـتقلة إلّا بعـد مئات السـنين؟أوَلَم تأت بتشـريعات فى غايـة الحكمـة، لم

يستطع الإنسان أن يدرک أسرارها ووجه الحکمة فيها إلاّ قبل برهة وجيزة من الزمن؟أو لم تکشف رسالة السماء أسراراً من الکون لم تکن تخطر على بال إنسان، ثم جاء العلم ليثبتها ويدعمها؟فإذا کنا نؤمن بهذا کله، فلماذا نستکثر على مرسل هذه الرسالة ـ سبحانه وتعالى ـ أن يسبق العلم فى تصميم عمر المهدى؟ وانا هنا لم اتکلم إلاّ عن مظاهر السبق التى نستطيع أن نحسّها نحن بصورة مباشرة، ويمکن ان نضيف إلى ذلک مظاهر السبق التى تحدثنا بها رسالة السماء نفسها.لم يتح للعلم ان يحققه إلاّ بعد مئات السنين، فنفس الخبرة الربانية التى أتاحت للرسول (ص) التحرک السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلک، أتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد، قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلک.نعم، هذا العمر المديد الذى منحه الله تعالى للمنقذ المنتظر يبدو غريباً فى حدود المألوف حتى اليوم فى حياة الناس، وفى ما أنجز فعلًا من تجارب العلماء.ولکن! أوَلَيسَ الدور التغييرى الحاسم الذى اُعد له هذا المنقذ غريباً فى حدود المألوف فى حياة الناس، وما مرت بهم من تطورات التاريخ؟أوَلَيسَ قد اُنيط به تغيير العالم، وإعادة بنائه الحضارى من جديد على أساس الحق والعدل؟فلماذا نستغرب إذا اتّسم التحضير لهذا الدور الکبير ببعض الظواهر الغريبة والخارجة عن المألوف کطول عمر المنقذ المنتظر؟ فإن غرابة هذه الظواهر وخروجها عن المألوف مهما کان شديداً، لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذى يجب على اليوم الموعود إنجازه. فإذا کنا نستسيغ ذلک الدور الفريدتاريخياً على الرغم من انه لا يوجد دور مناظر له فى تاريخ الإنسان، فلماذا لاـ نستسيغ ذلک العمر المديد الذى لاـ نجد عمراً مناظراً له فى حياتنا المألوفة؟ولا أدرى!اهل هى صدفة أن يقوم شخصان فقط بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيکون لکل منهما عمر مديد يزيد على أعمارنا الاعتيادية أضعافاً مضاعفة؟أحدهما مارس دوره فى ماضى البشرية وهو النبى نوح، الذى نص القرآن الکريم على أنه مکث فى قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وقدر له من خلال الطوفان أن يبنى العالم من جديد.والآخر يمارس دوره فى مستقبل البشرية وهو المهدى الذى مکث فى قومه حتى الآن أکثر من ألف عام وسيقدر له فى اليوم الموعود أن يبنى العالم من جديد.فلماذا نقبل نوح الذى ناهز الف عام على أقل تقدير ولا نقبل المهدى؟وقد عرفنا حتى الآن أن العمر الطويل ممکن علمياً، ولکن لنفترض أنه غير ممکن علمياً، وأن قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم لا يمکن للبشرية اليوم، ولا على خطها الطويل أن تتغلب عليه، وتغير من ظروفه وشروطه، فماذا يعنى ذلک؟ إنه يعنى أن إطالة عمر الإنسان ـ کنوح أو کالمهدى ـ قروناً متعددة، هى والجواب: إن المهمة أولا واحدة، وهى تغيير الظلم والفساد، وأن الوظيفة کما اوکلت إلى النبى، فقد اوکلت هنا إلى من إختاره الله تعالى أيضاً کما هو لسان الروايات الصحيحة. قال الرسول الأعظم (ص): «لو لم يبق من الدنيا إلاّـ يوم لطول الله ذلک اليوم حتى يبعث رجلا من أهل بيتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً...» التاج الجامع للاصول ۵: ۳۴۳.وأما من جهة قطعية النص، فاحاديث المهدى بلغت حد التواتر، وهو موجب للقطع والعلم، فلاـ فرق فى المقامين. راجع: التاج الجامع للاصول ۵: ۳۴۱ و ۳۶۰ فقد نقل التواتر عن الشوکانى، وانتهى المحققون من علماء الفريقين إلى القول بأن من کفر بالمهدى فقد کفر بالرسول محمد (ص) وليس ذلک إلاّ بلحاظ أنه ثبت بالتواتر، وأنه من ضرورات الدين، والمنکر لذلک کافر اجماعا. وراجع: الإشاعة لاشراط الساعة / البرزنجى فى بحثه حول المهدى. وقد نقلنا حکاية التواتر فى المقدمة أيضاً.ظلت ساعات تتربص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشى بينهم. کل هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطلت لحماية شخص، کانت الحکمة الربانية تقتضى الحفاظ على حياته، فليکن قانون الشيخوخة والهرم من تلک القوانين.وقد يمکن أن نخرج من ذلک بمفهوم عام وهو أنه کلما توقف الحفاظ على حياة حجة لله فى الأرض على تعطيل قانون طبيعى، وکانت إدامة حياة ذلک الشخص ضرورية لانجاز مهمته التى أعد لها، تدخلت العناية الربانية فى تعطيل ذلک القانون لانجاز ذلک، وعلى العکس إذا کان الشخص قد انتهت مهمته التى أعد لها ربانياً فإنه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرره القوانين الطبيعية.ونواجه عادة بمناسبة هذا المفهوم العام السؤال التالى: کيف يمکن أن يتعطل القانون؟ وکيف تنفصم العلاقة الضرورية التى تقوم بين الظواهر الطبيعية؟ وهل هذه إلاّـ مناقضة للعلم الذى اکتشف ذلک القانون الطبيعى، وحدد هذه العلاقة الضرورية على اُسس تجريبية واستقرائية؟!والجواب: ان العلم نفسه قد أجاب عن هذا السؤال بالتنازل عن فکرة الضرورة فى القانون الطبيعى، وتوضيح ذلک: أن

القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة، فحين يطرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة أُخرى يستدل بهذا الاطّراد على قانون طبيعي، وهو أنه كلما وجدت الظاهرة الأُولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها، غير أن العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعي علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتها، وصميم تلك وذاتها ;لأن الضرورة حالة غيبية، لا يمكن للتجربة ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي اثباتها، ولهذا فإن منطق العلم الحديث يؤكد أن القانون الطبيعي ـ كما يعرفه العلم ـ لا يتحدث عن علاقة ضرورية، بل عن اقتران مستمر بين ظاهرتين،فإذا جاءت المعجزة وفصلت إحدى الظاهرتين عن الأُخرى في قانون طبيعي لم يكن ذلك فصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين.والحقيقة أن المعجزة بمفهومها الديني، قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر مما كانت عليه في ظل وجهة النظر الكلاسيكية إلى علاقات السببية.فقد كانت وجهة النظر القديمة تفترض أن كل ظاهرتين اطّرد اقتران إحداهما بالأُخرى فالعلاقة بينهما علاقة ضرورة، والضرورة تعني أن من المستحيل ان تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأُخرى، ولكن هذه العلاقة تحولت في منطق العلم الحديث إلى قانون الاقتران أو التتابع المطرد بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبية.وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الاطّراد في الاقتران أو التتابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدي إلى استحالة.وأما على ضوء الأُسس المنطقية للاستقراء فنحن نتفق مع وجهة النظر العلمية الحديثة، في أن الاستقراء لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين، ولكنا نرى أنه يدل على وجود تفسير مشترك لاطّراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار، وهذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظم الكون إلى ربط ظواهر معينة بظواهر أُخرى باستمرار، وهذه الحكمة نفسها تدعو أحياناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة.وهكذا يتّضح بنحو علمي منطقي مبرهن أن العمر الطويل أمر ممكن، ولا يلزم منه محذور علمي ولا فلسفي. وبهذا تنتهي المرحلة الأولى من البحث في خصوصية الغيبة.ثانياً: مرحلة إثبات تحقق ذلك فعلاً في الإمام المهدي (ع) والبحث في هذه المرحلة يتم بطريقين:١ ـ عقائدي ٢ ـ وتاريخي١ ـ الطريق العقائديويمكن تقريره بثلاثة بيانات:أ ـ إن هذه الخصوصية من اللوازم الذاتية للمفهوم المهدوي عند أهل البيت (ع)، فثبوت هذا المفهوم ـ بالنحو الذي مرّ آنفاً ـ ثبوتاً برهانياً قاطعاً، واتضاح بطلان ما سواه، يقودنا بنحو طبيعي إلى الاعتقاد بغيبة الإمام الثاني عشر (ع). فما دام الأئمة اثني عشر فقط، وأنهم معينين من قبل الله سبحانه وتعالى، وليس للناس دور في إختيارهم، فليس بإمكاننا إلاّ أن نتصور استمرار حياة الإمام الثاني عشر ومواكبته للمسيرة البشرية وظهوره بعد ذلك في الشوط الأخير منها، ومن الطبيعي أن لا يتاح لإنسان يُقدّر له مثل هذا الهدف، وتقدر له مثل هذه الحياة الطويلة، أن يعيشها بصورة ظاهرة، ولابد له من ان يمارسها بنحو خفي غائب عن الأنظار، إلاّ أن يفترض وفاة الإمام المهدي (ع) في الزمان الطبيعي لامثاله ثم عودته للحياة في زمن الظهور، ولكن هذا الافتراض يلزم منه انقطاع الحجة في الفترة الفاصلة من وفاته إلى ظهوره، وهو مخالف لحديث الثقلين الذي يدل على تلازم الكتاب والعترة وعدم افتراقهما في زمن من الأزمان حتى قيام الساعة والورود على الحوض، كما يلزم منه الاعتقاد برجعة الإمام المهدي إلى الحياة بعد وفاته، وهو مما لا قائل به بين المسلمين.ب ـ الروايات الدالة على اتصاف الإمام المهدي بالغيبة، وقد ذكرتها بعض مصادر أهل السنّة مثل: ينابيع المودّة وفرائد السمطين.ففي ينابيع المودّة (ص ۴۴۷) عن كتاب فرائد السمطين عن الباقر عن أبيه عن جده عن علي (ع)، قال: قال رسول الله (ص): «المهدي من ولدي تكون له غيبة إذا ظهر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».وفيه (ص ۴۴۸) عنه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله (ص): «أن علياً وصيي ومن ولده القائم المنتظر المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً أن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر» فقام إليه جابر بن عبدالله فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: «اي وربي ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ـ ثم قال ـ يا جابر إن هذا أمر من أمر الله وسر من سرّ الله فإياك والشك فإن الشك في أمر الله عزّ وجل كفر».وفيه في الصفحة المذكورة عنه عن الحسن بن خالد، قال: قال علي بن موسى الرضا ـ رضي الله عنهما ـ: «أن الرابع من ولدي ابن سيدة الإماء يطهر الله به الأرض من كل جور وظلم وهو الذي يشك الناس

فی ولادته وهو صاحب الغیبة فإذا خرج أشـرقت الأرض بنور ربّها».وفیه (ص ۴۵۴) عنه عن أحمد بن زیاد عن دعبل بن علی الخزاعی فی حـدیث وروده علی الرضاوانشاده قصـیدته التائیـة، إلی أن قال: «إن الإمام بعـدی ابنی محمـد وبعـد محمـد ابنه علی وبعد علی ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم وهو المنتظر فی غیبته والمطاع فی ظهوره ویملأ الأرض قسطاً وعدلاً کما ملئت جوراً وظلماً وأما متی یقوم؟ فأخبار عن الوقت فقـد حدثنی أبی عن آبائه عن رسول الله (ص) قال: مثله کمثل الساعة لا تأتیکم إلا بغتة».وفیه (ص ۴۸۸) عن غایة المرام عن فرائد السـمطین عن جابر بن عبدالله رفعه: «المهدی من ولدی اسمه اسمی وکنیته کنیتی أشبه الناس بی خَلقاً وخُلقاً تکون له غیبـة وحیرة تضل فیها الاُمم یقبل کالشـهاب الثاقب یملأها عدلاً وقسـطاً کما ملئت جوراً وظلماً».وفیه عنه عن فرائد السـمطین فی الصـفحة المـذکورة عن الباقر عن آبائه عن علی بن أبی طالب (ع) رفعهُ: «المهـدی من ولدی تکون له غیبة وحیرة تضل فیها الاُمم إلی أن قـال ویملأـ الأـرض قسـطاً وعـدلاً کما ملئت جوراً وظلماً».وفیه (ص ۴۹۳) عن المنـاقب عن أبی جعفر محمـد البـاقر، قال: قال رسول الله (ص): «طوبی لمن أدرک قـائم أهـل بیتی وهو أتم به فی غیبته قبـل قیـامه ویتولی أولیـاءه ویعادی أعـداءه ذلک من رفقائی وذوی مودتی وأکرم اُمتی علیّ یوم القیامة».وفیه عنه عن أبی بصیر عن الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عن أمیر المؤمنین (ع)، قال: قـال رسول الله (ص): «المهـدی من ولـدی اسـمه اسـمی وکنیته کنیتی وهو أشـبه الناس بی خَلقاً وخُلقاً تکون له غیبـة وحیرة فی الاُمم حتی یضل الخلق عن أدیانهم فعند ذلک یقبل کالشهاب الثاقب فیملأ الأرض قسطاً وعدلاً کما ملئت ظلماً وجوراً». وفیه عنه مثل ذلک غیر أنه قال فعنـد ذلک یقبل کالشـهاب الثاقب یأتی بـذخیرة الأنبیاء (ع) الحدیث.وفیه (ص ۴۹۴) عنه عن جابر بن یزیـد الجعفی قال: سمعت جـابر بن عبـدالله الأنصـاری یقول: قـال لی رسول الله (ص): «یـا جابر إن اوصـیائی وأئمـة المسـلمین من بعـدی أولهم علی ثم الحسن ثم الحسـین ثم علی بن الحسـین ثم محمـد بن علی المعروف بالباقر سـتدرکه یا جابر فاذا لقیته فاقرأه منی السـلام ثم جعفر بن محمـد ثم موسـی بن جعفر ثم علی بن موسـی ثم محمـد بن علی ثم علی بن محمد ثم الحسن بن علی ثم القائم اسـمه اسـمی وکنیته کنیتی ابن الحسن بن علی ذلک الذی یفتح الله تبارک وتعالی علی یدیه مشارق الأرض ومغاربها ذلک الذی یغیب عن أولیائه غیبة لا یثبت علی القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإیمان».ج ـ إن المهدی الموعود إن لم یکن إماماً معصوماً، وکان رجلاً عادیاً من عامّة المسلمین سوف لن یکون هناک تناسب بینه وبین ظهور المسیح (ع) معه وهو نبی من اُولی العزم لیؤید المهدی ویدعو المسیحیین الی الإذعان بنبوّة النبی (ص)، فلابـد وان یکون المهـدی الموعود إماماً معصوماً، وحیث إن الإمامـة المعصومة لیست أمراً قابلاً للإدّعاء بل تحتاج الی تعیین سـماوی ونص نبوی یکشف عنها ولم یجرِ ذلک فی غیر الأئمة الإثنی عشـر (ع) حتی علی مستوی الإدّعاء فضلاً عن الـدلیل والبرهان، وقـد ثبتت وفاة الأئمـة المتقـدمین ودفنت أجسادهم فی أماکن معلومة، وبقی الإمام الثانی عشـر لم تُعلم له وفاة حتی الآن. فلابـد منالاعتقاد باسـتمرار حیاة هـذا الإمام من حین ولادته الی حین ظهوره فی آخر الزمان لیکون مؤهلاً لتأییـد المسـیح (ع) له یقول السـید سـامی البـدری فی ذلـک:«فـإن ظهور عیسـی سوف یکون بحاجـة إلی استیعـاب علمی وقیادی من قبل المهـدی الموعود باعتباره یقوم شاهداً له وللرسالة التی یرفع شعارها وکتابها وتابعاً له. والمهدی علی التصور السنّی لن یکون قادراً علی استیعاب المسیح بـل هو غیر قـادر علی استیعاب طوائف المسـلمین.لن یکون قادراً علی استیعاب المسـیح لأن المسـیح نبی ورسول معصوم ومؤیـد إلهیاً بالمعجزات ومثله لا یمکن أن یستوعبه إنسان غیر مؤید بالمعجزات والعصـمة والعلم التام.ولن یکون قادراً علی استیعاب الاُمة المسلمة بلا تأیید إلهی بالمعجزة والعصمة والعلم التام لوجود مشکلات أساسیة:منها: مشکلة إثبات کونه المهدی الموعود، فهو من دون التأیید الإلهی الخاص لن یکون قادراً علی کسب القناعـة الموضوعیـة التامة من الآخرین.ومنها: مشـکلة إقناع علماء زمانه بالخضوع لآرائه فی الجرح والتعـدیل وتخریـج الحـدیث والاسـتنباط منه فهـو علی أکـثر تقـدیر مجتهـد کبـاقی المجتهـدین یجـوز للعـوام أن یرجعـوا إلیه ویخضـعوا لأفکـاره أمـا المجتهـدون الآـخرون فلاـ یوجـد أی مبرر للخضوع لفهمه، أما تخریجه للحـدیث وأراؤه فی الجرح والتعـدیل فسـتکون المشـکلة فیهـا أعظـم لـو تجـاوز فیهـا أئمــة الجرح والحــدیث التـاریخیین کالبخـاری وأحمـد بـن حنبـل ویحیی بـن معین وغیرهـم.ومنهـا: مشـکلة النظـام السیاسـی الـذی یسـمح لـه أن یشـکل تجمعـه الحرکی، إذ الأنبیـاء مـع التأییـد الإـلهی لـم یسـلموا من

الاستضعاف فكيف بالمهدى غير المؤيد.ومنها: مشكلة الشيعة الذين لن يؤمنوا بمثل مهدى غير معصوم وغير منصوص عليه ولم يكن ابناً للحسن العسكرى (ع) وليس هو إلا مهديهم.وقد يقول قائل: بأننا نفترض أن المهدى بالتصور السنّى مؤيد بالمعجزة والعلم التام والعصمة.قلنا: إن هذا الافتراض سيجعل من المهدى على الأُطروحة السنّية نبيّاً لأننا افترضنا أن علمه علم تام لم يستمد من علم بشرى، وليس من شك أن هذا الفرض سوف يكون خلاف القرآن الذى نصّ على أن محمداً خاتم النبيين.وهذا بخلاف المهدى على التصور الشيعى فهو ليس نبيّاً بل هو عالم مطهر معصوم وارث لتراث جده عن طريق آبائه ملهم بذلك العلم الموروث معرّف بالنص عليه من قبل أبيه المعرّف من قبل آبائه المعصومين حتى ينتهى الأمر إلى النبى (ص) الذى عرّف بهم جميعاً وبعلى فى الغدير خاصه وقد وجدت مثل هذه الحالة ـ أى حالة عالم مطهر وارث للعلم ملهم به ـ وليس بنبىّ، فى الأُمم السابقة وقص القرآن علينا خبرها.إذن لابد من مهدى مؤيد بالعلم والعصمة والمعجزة وليس بنبى وليس هو إلا المهدى على الطرح الشيعى الذى يستوعب ما عجز عنه المهدى على الطرح السنّى.يستوعب المهدى على التصورالشيعى ظاهرة المسيح لأن هذا المهدى كان قد بشر به عيسى كما بشر بجده النبى (ص) وأبيه على (ع)، وهو معصوم وارث لتراث النبوة الخاتمة الذى كتبه على (ع) بيده وأملاه النبى (ص) عليه ووارث أيضاً لتراث النبوات الإسرائيلية الذى اجتمع عند عيسى ومنه انتقل عبر آخر أوصيائه إلى آباء النبى ثم إلى أبى طالب ثم إلى النبى ثم إلى على والأئمة من ذريته. مضافاً إلى ذلك هو ملهم بهذا العلم كما اُلهم آباؤه من قبل، مضافاً إلى ذلك هو مؤيد بالخوارق التكوينية كما كان وصى سليمان آصف مؤيد بهايكن نبيّاً بل كان وصيّاً وارثاً للعلم وكذلك المهدى بن الحسن العسكرى (ع).وإذا كان المهدى على التصور الشيعى قادراً على استيعاب ظاهرة عيسى (ع) وهو نبى ورسول وصار من جنوده وأنصاره ومؤيديه فهو على استيعاب طوائف اُمة جده أقدر».٢ ـ الطريق التأريخيويمكن تقريره بثلاثة بيانات:أ ـ إن التاريخ ـ وكما مرّ ـ قد شهد بولادة الإمام المهدى (ع) ولم يشهد بوفاته، مما يدل على استمرار حياته، وحيث لا نتحسس وجوده ولا نشخص أحداً من الناس بعنوان أنه المهدى ابن الإمام الحسن العسكرى، فلابد وأن تكون له حياة خفية غير ظاهرة للناس.ب ـ إن التاريخ قد شهد بحصول مشاهدات عينية متكررة للإمام المهدى (ع) فى زمان غيبته، وقد أ لّفت فى ذلك كتب مثل كتاب تبصرة الولى فيمن رآى القائم المهدى للسيد هاشم البحرانى، وذكر الشيخ ابو طالب التجليل التبريزى فى كتابه «من هو المهدى» ٢۶۶ شخصاً ممن رأى الإمام المهدى فى غيبته الصغرى مع ذكر قصص أكثرهم، وخصص فصلاً لمن رأى الإمام فى غيبته الكبرى، وذكر عشرين كتاباً اورد أصحابها فيها القصص والأخبار التأريخية فى ذلك، وهنا نحن نذكر قصة أوردها السيد صدر الدين الصدر فى كتابه «المهدى» نقلاً عن الشيخ عبدالوهاب الشعرانى فى كتابه «طبقات العرفاء» فى احوال الشيخ حسن العراقى:«قال: ترددت اليه مع سيدى أبى العباس الحريثى فقال: أتأذن لى أن احكى لك حكايتى من مبتدأ أمرى إلى وقتى هذا كأنك كنت رفيقى من الصغر فقلت له نعم فقال كنت شاباً من دمشق وكنت صانعاً وكنا نجتمع يوماً فى الجمعة على اللهو واللعب والخمر فجاءنى التنبيه من الله تعالى يوماً ألهذا خلقت فتركت ماهم فيه وهربت منهم فتبعوا ورائى فلم يدركونى فدخلت جامع بنى اُمية فوجدت شخصاً يتكلم على الكرسى فى شأن المهدى (ع) فاشتقت إلى لقائه فصرت لا أسجد سجدة إلا وسألت الله تعالى أن يجمعنى معه فبينما أنا ليلة بعد صلاة المغرب اُصلى صلاة السنة وإذا بشخص جلس خلفى ومسح على كتفى وقال لى: قد استجاب الله تعالى دعاءك يا ولدى مالك أنا المهدى. فقلت: تذهب معى إلى الدار، فقال: نعم، فذهب معى وقال: اخل لى مكاناً انفرد به فأخليت مكاناً فأقام عندى سبعة أيام بلياليها».وقال الشيخ على بن عيسى الأربلى فى كشف الغمة:«إن الناس ينقلون قصصاً وأخباراً فى خوارق العادات للإمام المهدى (ع) يطول شرحها وأنا أذكر من ذلك قصتين قريب عهد بزمانى وحدثنى بها جماعة من ثقاة اخوانى.الأولى: إنه كان فى بلد الحلة بين الفرات ودجلة رجل اسمه إسماعيل بن الحسن قال اخوانى حكى لنا إسماعيل أنه خرج على فخذى الأيسر ثوثة مقدار قبضة الإنسان فعجزت الأطباء عن علاجها فجاء بغداد ورآه أطباء الأفرنج فقالوا لا علاج لها فتوجه إلى سامراء وزار الإمامين على الهادى والحسن العسكرى ـ رضى الله عنهما ـ ونزل السرداب ودعا الله تعالى تضرعاً واستغاث بالإمام المهدى (ع) ثم مضى إلى دجلة فاغتسل ثم لبس ثوبه فرأى أربعة فرسان خارجين من باب سور البلد

وواحـد شـيخ بيده رمح وشاب آخر عليه فرجية ملونة فصاحب الرمح يمين الطريق والشابان يسار الطريق والشاب صاحب الفرجية على الطريق فقـال له صاحب الفرجيـة: أنت تروح غـداً إلى أهلك، فقا له: نعم، فقال صاحب الفرجيـة له تقـدم الىّ حتى أبصـر ما يوجعك فقدم إليه ومد يده إليه فعصـر الثوثة بيده فأوجعه ثم اسـتوى على سـرجه، فقال الشيخ صاحب الرمح: أفلحت يا إسماعيل هذا الإمام ثم ذهبوا وهو يمشى معهم، فقال الإمام: ارجع فقال لا اُفارقك ابداً فقال الإمام:المصلحة فى رجوعك، فقال لا اُفارقك أبداً فقال الشيخ يا إسماعيل ما تستحى يقول لك الإمام ارجع مرتين فتخالفه فوقف وتقدم الإمام خطوات ثم التفت إليه وقال: يا إسماعيل اذا وصلت إلى بغـداد فلابـد أن يطلبك أبو جعفر يعنى الخليفـة المستنصـر بالله فإذا حضـرت عنده واعطاك شـيئاً فلا تأخذه وقل لولدنا الرضا ليكتب لك إلى على ابن عوض فإننى اُوحيه يعطيك الـذى تريـد ثم سار مع أصـحابه فلم يزل قائماً يبصـرهم حتى غابوا ثم قعـد على الأرض ساعـة متأسـفاً محزونـاً وباكيـاً عن مفـارقتهم ثم جـاء إلى سامراء فاجتمع القوم حوله وقالوا نرى وجهك متغيراً فما أصابك، فقال: هل عرفتم الفرسـان الـذين خرجوا من البلـد وسـاروا ساحـل الشـط قالوا هم الشـرفاء أرباب الغنم، فقال لهم بل هم الإمام واصـحابه الشاب وصـاحب الفرجيـة هو الإمـام مس بيـده المبـارك مرضـى فقـالوا أرنيه، فكشف فخـذه فلم يروا له أثراً فمزقوا ثيـابه وادخلوه فى خزانة ومنعوا الناس عنه لكيلا يزدحموا عليه، ثم إن الناظر من طرف الخليفـة جاء الخزانة وسأله عن هذا الخبر وعن اسـمه ونسبه ووطنه وعن خروجه من بغـداد اول هـذا الاسـبوع ثم ذهب عنه. فبات إسـماعيل فى الخزانة وصـلى الصبح وخرج مع الناس إلى أن بعُد من سامراء فرجع القوم وودعوا فسار منفرداً حتى وصل موضع فرأى الناس مزدحمين على القنطرة العتيقة يسألون عمن ورد عليهم عن اسمه ونسبه وموضع مجيئه فلمـا لاـقوه عرفوه بالعلامـات المـذكورة فمزقوا ثيابه واخـذوها تبركاً وكان الناظر كتب إلى بغـداد وعرفهم الحال وكان الوزير طلب السـعيد رضـى الدين ليعرفه صـحة الخبر فخرج رضـى الدين الذى هو كان من أصدقاء إسماعيل وكان ضيفه قبل خروجه إلى سامراء فلما رآه رضـى الـدين وجماعة معه فنزلوا عن دابتهم وأراهم فخذه فلم يروا شـيئاً فغشـى على رضـى الدين ساعة ثم أخذه بيـده وأدخله على الوزير وهو يبكى ويقول: هذا أخى وأقرب الناس إلى قلبى فسأله الوزير عن القصة فحكاها له فأحضـر الأطباء الذين رأوا مرضه وسـألهم متى رأيتموه قالوا منـذ عشـرة أيام فكشف الوزير فخـذ إسـماعيل فليس فيها أثر قالوا هـذا عمل المسـيح (ع) فقال الوزير نحن نعرف من عملها ثم احضـره الوزير عند الخليفة فسأله عن القصة فحكى له ما جرى فأعطى له الف دينار فقال ما أجسـر أن آخـذ منه ذرّة فقال الخليفـة ممن تخاف فقال من الـذى فعل بى هذا قال لى لا تأخذ من أبى جعفر شـيئاً. فبكى الخليفة ثم قال على بن عيسـى كنت احكى هذه القصة لجماعة عندى وكان شـمس الدين ولده حاضـراً عندى لا أعرفه قال أنا ابنه من صلبه فقلت: هل رأيت فخـذ أبيك وهى مجروحة؟ قال: إنى كنت صبياً فى وقت جراحة فخذه، ولكن سـمعت القصة من أبى واُمى واقربائى وجيرانى ورأيت فخذه بعدما صـلحت ولا أثر فيها ونبت فى موضـعها شـعر وقال أيضاً: سألت السيد صفى الدين محمد بن محمد ونجم الدين حيدر بن الأيسـر اخبرانى بصحة هذه القصة وإنهما رأيا إسماعيل فى مرضه وصحته وحكى لى ولده أن أباه ذهب إلى سامراء بعد صحته أربعين مرة طمعـاً أن يعود له الوقت الـذى رآه.الثانيـة: حكى لى السـيد بـاقى بن عطوة العلوى الحسـنى أن أبـاه عطوة لا يعترف بوجود الإمام المهـدى (ع) ويقول إذا جاء الإمام فيبرئنى من هـذا المرض أصـدق قولهم ويكرر هذا القول فبينما نحن مجتمعون وقت العشاء الأخيرة صاح ابونا فأتيناه سـراعاً فقال: إلحقوا الإمام فى هـذه الساعة خرج من عندى فخرجنا فلم نر أحداً فجئنا إليه وقال أنه دخل الىّ شـخص وقـال: يـا عطوة فقلت لبيك قال أنا المهـدى قـد جئت إليك أن اشـفى مرضك ثم مـد يـده المبارك وعصـر وركى وراح فصار مثل الغزال، قال على بن عيسـى سألت هـذه القصة من غير ابنه فأقرّ بها».ومن هنا فقد آمن بعض الأعلام من أهل السنّة بحياته وبقائه أو هو لازم كلامهم. وقـد ذكر السيد صـدر الـدين الصـدر بعضـهم فقال:«منهم: الشـيخ محيى الدين العربى فى الفتوحات على رواية الشـيخ عبـدالوهاب الشـعرانى فى كتـابه اليواقيت والجواهر الـذى تقـدم عينـاً نقله عن كتـاب اسعـاف الراغبين، فان كون المهـدى بن الحسـن العسـكرى بلا فصل كما هو صريح كلامه مع وفاة الإمام الحسن العسكرى فى سنة مائتين وستين لازمه حياة المهدى وبقاؤه حتى يظهر أو أنـه يمـوت ثـم يحييه الله تعـالى بقـدرته. ولاـ أظن ان الشـيخ محيى الـدين يرضـى بـان ينسب إليه الاحتمـال الأـخير.ومنهم: الشـيخ

عبدالوهاب الشعرانی فی کتابه الیواقیت والجواهر علی ما فی اسعاف الراغبین (ص ۱۵۷) حیث قال: المهدی بن الإمام الحسن العسکری ومولده لیلهٔ النصف من شعبان سنهٔ خمس وخمسین ومائتین وهو باق إلی أن یجتمع بعیسی بن مریم هکذا اخبرنی الشیخ حسن العراقی عن الإمام المهدی حین اجتمع به ووافقه علی ذلک سیدی علی الخواص» انتهی.ومنهم: الشیخ أبو عبدالله محمد بن یوسف بن محمد الکنجی فی کتابه البیان فی أخبار صاحب الزمان علی ما نقله اسعاف الراغبین (ص ۲۲۷) قال: «ومن الأدلهٔ علی أن المهدی حیّ باق بعد غیبته إلی الآن وأنه لا امتناع فی بقائه بقاء عیسی بن مریم والخضر وإلیاس من أولیاء الله تعالی وبقاء الأعور الدجال وابلیس اللعین من أعداء الله تعالی وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالکتاب والسنّهٔ» انتهی.ومنهم: الشیخ العارف الفاضل الخواجه محمد بارسا فی کتابه فصل الخطاب علی ما فی ینابیع المودّهٔ (ص ۴۵۱) بعد ان ذکر ولادهٔ المهدی المنتظر وان الله تعالی آتاه الحکمهٔ وفصل الخطاب فی سن الطفولیهٔ کما منّ علی یحیی وعیسی بذلک قال: «وطوّل الله تبارک وتعالی عمره کما طوّل عمر الخضر (ع)». انتهی.ومنهم: الشیخ صدر الدین القونوی فی بعض وصایاه لتلامذته عند موته علی ما فی ینابیع المودهٔ (ص ۴۶۹) حیث قال: «إن الکتب التی کانت لی من کتب الطب وکتب الحکماء وکتب الفلاسفهٔ فبیعوها وتصدقوا بثمنها للفقراء وأما کتب التفسیر والأحادیث والتصوف فاحفظوها فی دار الکتب واقرأوا کلمهٔ التوحید (لا إله إلا الله) سبعین ألف مرهٔ فی اللیلهٔ وبلّغوا منی سلاماً إلی المهدی (ع).» انتهی.أقول: یمکن أن یقال أن قوله ذلک لا یدل علی وجود المهدی وحیاته إذ ربما قال ذلک برجاء أن یدرکوا ظهوره، ولکن الأول أظهر.ومنهم: الشیخ سعد الدین الحموی علی ما فی ینابیع المودّهٔ (ص ۴۷۴) نقلاً عن کتاب الشیخ عزیز بن محمد النسفی عند کلامه فی ترتیب الأولیاء وأن الله تعالی إختار فی هذه الاُمهٔ اثنی عشر ولیاً من أهل البیت فجعلهم خلفاء نبیّه المعظم (ص) إلی أن قال: «وأما آخر الأولیاء الذی هو آخر خلفاء النبی والولی والنائب الثانی عشر وخاتم الأولیاء فهو المهدی صاحب الزمان». انتهی.ومنهم: الشیخ شهاب الدین الهندی المعروف بملک العلماء فی کتابه هدایهٔ السعداء علی ما فی الدرر الموسویهٔ، قال عند ذکره الأئمهٔ الاثنی عشر: التاسع یعنی من ولد الحسین الإمام حجهٔ الله القائم المهدی وهو غائب وله عمر طویل کما فی المؤمنین عیسی وإلیاس والخضر وفی الکافر الدجال والسامری. انتهی.ومنهم الشیخ الکامل الشیخ محمد المعروف بخواجه بارسا فی حاشیهٔ له علی کتاب فصل الخطاب مضافاً إلی ما تقدم عنه علی ما فی الدرر الموسویهٔ، حیث قال: وبه (یعنی بالمهدی) ختمت الخلافهٔ والإمامهٔ وهو إمام منذ وفاهٔ أبیه إلی یوم القیامهٔ وعیسی یصلی خلفه ویصدقه ویدعو الناس إلی ملته وهی ملهٔ النبی (ص). انتهی.ومنهم: الشیخ المحدث الشهیر ابن حجر العسقلانی صاحب فتح الباری فی شرح صحیح البخاری فی کتابه (القول المختصر فی علامات المهدی المنتظر) قال: یتعین اعتقاد ما دلّت علیه الأحادیث الصحیحهٔ من وجود المهدی المنتظر وهو الذی یخرج الدجال وینزل عیسی (ع) فی زمنه وهو المراد حیث اطلق المهدی، وأما من قبله فلیس واحد منهم هو المهدی المنتظر. انتهی. والشاهد قوله: من وجود المهدی المنتظر.ومنهم: غیر واحد من الفضلاء والعرفاء فإن الذی یظهر من أشعارهم العربیهٔ والفارسیهٔ المذکورهٔ فی ینابیع المودّهٔ وغیره من بعض کتب المناقب أنهم یرون حیاهٔ المهدی المنتظر وأنه حی یرزق لوصفهم له بالولایهٔ والإمامهٔ والخلافهٔ والنیابهٔ عن النبی (ص) وأنه الواسطهٔ فی الفیوضات الإلهیهٔ.ج ـ ونعتمد فی تقریرالبیان الثالث علی ما کتبه السید الشهید محمدالصدر (ره) حیث کتب یقول:«إن الغیبهٔ تجربهٔ عاشتها اُمّهٔ من الناس فترهٔ امتدت سبعین سنهٔ تقریباً وهی فترهٔ الغیبهٔ الصغری، ولتوضیح ذلک نمهد بإعطاء فکرهٔ موجزهٔ عن الغیبهٔ الصغری».الغیبهٔ; لکی تألفها هذه القواعد بالتدریج، وتکیف نفسها شیئاً فشیئاً علی أساسها، وکان هذا التمهید هو الغیبهٔ الصغری التی اختفی فیها الإمام المهدی عن المسرح العام، غیر أنه کان دائم الصلهٔ بقواعده وشیعته عن طریق وکلائه ونوابه والثقات من أصحابه الذین یشکلون همزهٔ الوصل بینه وبین الناس المؤمنین بخطه الإمامی.شَغَلَ مرکز النیابهٔ عن الإمام فی هذه الفترهٔ أربعهٔ ممن أجمعت تلک القواعد علی تقواهم وورعهم ونزاهتهم التی عاشوا ضمنها وهم کما یلی:۱ ـ عثمان بن سعید العمری.۲ ـ محمد بن عثمان بن سعید العمری.۳ ـ أبو القاسم الحسین بن روح.۴ ـ أبو الحسن علی بن محمد السمری.وقد مارس هؤلاء الأربعهٔبتعیین من الإمام المهدی (ع).السمری هو آخر النواب، فقد أعلن عن انتهاء مرحلهٔ الغیبهٔ الصغری التی تتمیز بنواب معینین، وابتداء الغیبهٔ الکبری التی لا یوجد فیها أشخاص معینون

بالـذات للوساطـة بين الإمام القائـد والشـيعة، وقد عبّر التحول من الغيبه الصـغرى إلى الغيبة الكبرى عن تحقيق الغيبة الصـغرى لأهدافها وانتهاء مهمتها ;لأنها حصّنت الشيعة بهـذه العمليه التدريجيـة عن الصدمـة والشـعور بالفراغ الهائل بسـبب غيبة الإمام، واستطاعت أن تكيّف وضع الشـيعة على أساس الغيبـة، وتعـدّهم بالتدريـج لتقبـل فكرة النيابـة العامـة عـن الإمـام، وبهـذا تحـولت النيابـة مـن أفراد منصوصينخط عام،والآن بإمكانك أن تقدّر المواقف في ضوء ما تقدم، لكي تدرك بوضوح أن المهدى حقيقة عاشتها اُمة من الناس، وعبّر عنها السـفراء والنواب طيلة سبعين عاماً من خلال تعاملهم مع الآخرين، ولم يلحظ عليهم أحدٌ، كل هذه المدة تلاعب فى الكلام، أو تحايلاً فى التصـرف أو تهافتاً فى النقل. فهل تتصور ـ بربّك أن بإمكان اُكذوبـة أن تعيش سـبعين عاماً، ويمارسـها أربعة على سبيل الترتيب كلهم يتفقون عليهـا، ويظلون يتعـاملون على أساسـها وكأنهـا قضـية يعيشونها بأنفسـهم ويرونها بأعينهم دون أن يبـدر منهم أى شيء يـثير الشـك، ودون أن يكـون بين الأربعـة علاقـة خاصـة متميزة تتيـح لهم نحـواً من التواطؤ، ويكسـبون من خلاـل مـا يتصف به سلوكهم من واقعيـة ثقـة الجميع، وإيمانهم بواقعيـة القضـية التى يدّعون أنهم يحسونها ويعيشون معها؟!لقد قيل قديماً: إنّ حبل الكذب قصـير، ومنطق الحياة يثبت أيضاً أن من المسـتحيل عملياً بحساب الاحتمالات أن تعيش اُكذوبة بهذا الشـكل، وكل هذه المدة، وضمن كـلّ تلـك العلاقات والأخـذ والعطاء، ثم تكسب ثقـة جميع من حولها.وهكـذا نعرف أن ظاهرة الغيبـة الصـغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية لإثبات مالها من واقع موضوعى، والتسـليم بالإمام القائد بولادتهعن المسـرح ولم يكشف نفسه لأحدلكنها فى الوقت نفسه تحث الإنسان المؤمن باتجاه التعقل والتدبّر المفضـى فى النتيجة إلى تصـيّد الحِكَم المحتملة والأغراض الإنسانية التفصيلية المتوقعة فى مختلف الجهات العقائديـة والتشـريعية من الإسـلام.ونحن قـد درسـنا المسألـة المهدويـة من زاويـة الدليل والبرهان، واتضح أن مفهوم مدرسـة أهل البيت عن المهدويـة بالقياس إلى مفهوم مدرسـة المـذاهب الأربعـة عنها من ناحية الدليل والبرهان يمثل هذه المسألة فى مسـتواها الأكمـل والأـتم.وكمالهـا فى المجـال العقائـدى والبرهانى يقتضـى ويؤدى بنا إلى الاعتقاد بكمالها فى ما تقـدمه من معطيات انسانيـة، والمفارقـة التى تؤدى بالكثيرين إلى التشـكيك وإثارة الشـبهات حول مفهوم المهدويـة عند أهل البيت تعود إلى أن هؤلاء لا ينظرون إلى زاويـة الـدليل والبرهان بقـدر ما يركّزون على الناحيـة الإنسانيـة التى تجعلهم يتساءلون:ما هى الثمرة المترتبة على الاعتقاد بمفهوم عن المهدوية يتصف بمعانى غيبية غير مألوفة كالغيبة، والعمر الطويل، والإمامة المبكرة؟ وحينما لا يتوصـلون إلى جواب كاف وتبقى الناحية الإنسانية لهذا المفهوم محاطة بالغموض والإبهام يدفعهم الجهل بها، والعجز عن تصورها إلى إنكار هذا المفهوم واتهامه بـالغلو والخيـال، والاسـتعاضة عنه بمفهوم آخر للمهدويـة يخلو من هـذه الأبعـاد، ولاـ يتطلب كلفـة غيبيـة كـبيرة، دون أن يعلموا أ نّهم بعملهم هـذا قـد انتقلوا من الكمـال إلى النقص، وأن اعتراضـهم على هـذه الأبعـاد الغيبيـة إنّمـا هو اعتراض على الجوهر الغنى لمفهوم المهدويـة فى الإسـلام، فضـلاً عن مخـالفته للناحيـة المنطقيـة التى تقتضـى فى بـاب الاعتقـاد متابعـة الـدليل والبرهـان أينمـا إتجها، لا تحريفهما باتجاه ما تقتضـيه الأهواء والأغراض والاعتقادات الشخصية.ولو أنهم تدبروا فى مفهوم أهل البيت (ع) عن المهدوية لوجدوه فى ناحيته الإنسانيـة أكمل من مفهوم مدرسـة الخلفاء عنها، وقـد تكفل السـيد الشـهيد الصـدر ببيان هـذه الناحية بيانـاً رائعاً حيث كتب يقول:«ونتناول الآن السؤال الثانى، وهو يقول: لماذا كل هذا الحرص من الله سبحانه وتعالى على هذا الإنسان

القيمة العقائدية أو المعطى الإنسانى لمفهوم المهدوية فى مدرسة أهل البيت

العقائد سواءاً كانت أرضية تعود فى نشأتها إلى الإنسان، أو سماوية تعود فى منشأها إلى الله سبحانه وتعالى، لابد وأن يكون لها مدلول إنسـانى، فإن كانت أرضـية فهى ناشـئة من ظروف الإنسان ومعبّرة عن تطلعاته ورغبته فى التوصل إلى حياة أفضل، وإن كانت سـماوية فهى تجسـد رحمة الله سـبحانه وتعالى بالإنسان وحبّه له وحرصه على إيصاله إلى ساحل السـعادة، وهذا مما يقطع به المؤمن فى أصـل العقيدة الإسـلامية سواء اتّضح له هذا المدلول الإنسانى بنحو تفصـيلى، أو بقيت تفاصيله مجملة مكنونة فى طى الغيب.والإنسان يتعامل مع العقائـد تارة عقلياً من زاوية الدليل والبرهان، واُخرى حسياً من زاوية ما تحققه هذه العقائد من اغراض وما تقدمه من عطاء وحلول

لمشاكل الإنسان في حياته اليومية. ومهما تكن هذه العقائد واضحة وأكيدة من زاوية الدليل والبرهان، فإن غموضها من الزاوية الإنسانية يجعلها مورد شك وترديد أو ـ على الأقل ـ نقطة غير فاعلة وغير مشعّة في النفس.والعقيدة الإسلامية كعقيدة سماوية ليس بوسعنا أن نتوقع منها أن تفصح عن اغراضها الإنسانية بنحو تفصيلي، لأن البيان التفصيلي يؤدي إلى تركيز الناحية الحسّية في الشخصية الإنسانية ويتنافى مع الشأن الأساسي للعقيدة المتمثل باجلاء الناحية العقلية وتركيز الناحية الروحية في الشخصية الإنسانية، ولذا فمن الطبيعي أن تكتفي هذه العقيدة ببيان الحد الأدنى وبنحو كلّي لأغراضها الإنسانية، مثل قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا ـ رحمة للعالمين).بالذات، فتعطل من أجله القوانين الطبيعية لإطالة عمره؟ ولماذا لا تترك قيادة اليوم الموعود لشخص يتمخص عنه المستقبل، وتنضجه إرهاصات اليوم الموعود فيبرز على الساحة ويمارس دوره المنتظر.وبكلمة اُخرى: ما هي فائدة هذه الغيبة الطويلة وما المبرر لها؟وكثير من الناس يسألون هذا السؤال وهم لا ـ يريدون أن يسمعوا جوابا غيبيا، فنحن نؤمن بأن الأئمة الا ـ ثنى عشر مجموعة فريدةاجتماعي للموقف، على ضوء الحقائق المحسوسة لعملية التغيير الكبرى نفسها والمتطلبات المفهومة لليوم الموعود.وعلى هذا الاساس نقطع النظر مؤقتا عن الخصائص التي نؤمن بتوفرها في هؤلاء الائمة المعصومينونطرح السؤال التالي:إننا بالنسبة إلى عملية التغيير المرتقبة في اليوم الموعود، بقدر ما تكون مفهومة على ضوء سنن الحياة وتجاربها، هل يمكن أن نعتبر هذا العمر الطويل لقائدها المدّخر عاملاً من عوامل إنجاحها، ويمكنه من ممارستها وقيادتها بدرجة أكبر؟ونجيب عن ذلك بالإيجاب، وذلك لعدة أسباب منها ما يلي:إن عملية التغيير الكبرى تتطلب وضعاً نفسياً فريداً في القائد الممارس لها، مشحوناً بالشعور.. بالتفوق والاحساس بضآلة الكيانات الشامخة التي أعد للقضاء عليها، وتحويلها حضارياً إلى عالم جديد.فبقدر ما يعمر قلب القائد المغير من شعور بتفاهة الحضارة التي يصارعها، واحساس واضح بأنها مجرد نقطة على الخط الطويل لحضارة الإنسان، يصبح أكثر قدرة من الناحية النفسيةوجهها ومواصلة العمل ضدها حتى النصر.ومن الواضح أن الحجم المطلوب من هذا الشعور النفسي يتناسب مع حجم التغيير نفسه، وما يراد القضاء عليه من حضارة وكيان، فكلما كانت المواجهة لكيان اكبر ولحضارة ارسخ واشمخ تطلبت زخماً أكبر من هذا الشعور النفسي المفعم.ولما كانت رسالة اليوم الموعود تغيير عالم مليء بالظلم وبالجور، تغييراً شاملاً بكل قِيمه الحضارية وكياناته المتنوعة، فمن الطبيعي أن تفتش هذه الرسالة عن شخص أكبر في شعوره النفسي من ذلك العالم كله، عن شخص ليس من مواليد ذلك العالم الذين نشأوا في ظل تلك الحضارة التي يراد تقويضها واستبدال حضارة العدل والحق بها ; لأن من ينشأ في ظل حضارة راسخة، تعمر الدنيا بسلطانها وقيمها وأفكارها، يعيش في نفسه الشعور بالهيبة تجاهها ; لأنه ولد وهي قائمة، ونشأ صغيراً وهي جبارة، وفتح عينيه على الدنيا فلم يجد سوى أوجهها المختلفة.وخلافاً لذلك، شخص يتوغل في التاريخ عاش الدنيا قبل أن ترى تلك الحضارة النور، ورأى الحضارات الكبيرة سادت العالم الواحدة تلو الاُخرى ثم تداعت وانهارت،ثم رأى الحضارة التي يقدر لها أن تكون الفصل الأخير من قصة الإنسان قبل اليوم الموعود، رآها وهي بذور صغيرة لا تكاد تتبين.ثم شاهدها وقد اتخذت مواقعها في احشاء المجتمع البشري تتربص الفرصة لكي تنمو وتظهر..ثم عاصرها وقد بدأت تنمو وتزحف وتصاب بالنكسة تارة ويحالفها التوفيق تارة اُخرى..ثم واكبها وهي تزدهر وتتعملق وتسيطر بالتدريج على مقدرات عالم بكامله، فإن شخصاً من هذا القبيل عاش كل هذه المراحل بفطنة وانتباه كاملين ينظر إلى هذا العملاق ـ الذي يريد أن يصارعه ـ من زاوية ذلك الامتداد التاريخي الطويل الذي عاشه بحسه لا ـ في بطون كتب التاريخ فحسب، ينظر إليه لا بوصفه قدراً محتوماً، ولا كما كان ينظر (جان جاك روسو) بدون ملك، على الرغم من كونه من الدعاة الكبار فكرياً وفلسفياً إلى تطوير الوضع السياسي القائم وقتئذ ;لأن (روسو) هذا نشأ في ظل الملكية، وتنفس هواءها طيلة حياته، وأما هذا الشخص المتوغل في التاريخ، فله هيبة التاريخ، وقوة التاريخ، والشعور المفعم بأن ما حوله من كيان وحضارة وليد يوم من أيام التاريخ، تهيأت له الأسباب فوجد، وستتهيأ الأسباب فيزول، فلا يبقى منه شيء كما لم يكن يوجد منه شيء بالأمس القريب أو البعيد، وأن الأعمار التاريخية للحضارات والكيانات مهما طالت فهي ليست إلاّ ـ أيّاماً قصيرة في عمر التاريخ الطويل.هل قرأت سورة الكهف؟وهل قرأت عن أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى؟ولا يتردد في خنق أي بذرة من

بـذور التوحيـد والارتفاع عن وحدة الشـرك، فضاقت نفوسـهم ودبّ إليها اليأس وسدت منافذ الأمل أمام أعينهم، ولجأوا إلى الكهف يطلبون من الله حلاًـ لمشـكلتهم بعـد أن أعيتهم الحلول، وكبر فى نفوسـهم أن يظـل الباطل يحكم ويظلم ويقهر الحق ويصـفى كل من يخفق قبله للحق.هـل تعلم مـاذا صـنع الله تعـالى بهم؟إنه أنامهم ثلاثمائـة سـنة وتسع سـنينبعد أن كان ذلك الكيان الـذى بهرهم بقوته وظلمه قـد تـداعى وسـقط، وأصـبح تاريخاً لا يرعب أحداً ولا يحرك ساكناً، كل ذلك لكى يشـهد هؤلاء الفتية مصـرع ذلك الباطل الذى كبر عليهم امتداده وقوته واسـتمراره، ويروا إنتهاء أمره بأعينهم ويتصاغر الباطل فى نفوسـهم.ولئن تحققت لأصحاب الكهف هذه الرؤية الواضـحة بكل ما تحمل من زخم وشـموخ نفسيين من خلال ذلك الحدث الفريد الذى مدد حياتهم ثلاثمائة سـنة، فإن الشيء نفسه يتحقق للقائـد المنتظر من خلال عمره المديـد الـذى يتيح له أن يشـهد العملاق وهو قزم والشـجرة الباسـقة وهى بذرة، والاعصار وهو مجرد نسـمةاضف إلى ذلك، أن التجربـة التى تتيحها مواكبـة تلك الحضارات المتعاقبة، والمواجهة المباشـرة لحركتها وتطوراتها لهـا أثر كبير فى الإعـداد الفكرى وتعميق الخبرة القياديـة لليوم الموعود ; لأنها تضع الشـخص المـدخر أمام ممارسات كثيرة للآخرين بكـل مـا فيهـا من نقاط الضـعف والقوة، ومن ألوان الخطأ والصواب، وتعطى لهـذا الشـخص قـدرة أكبر على تقييم الظواهر الاجتماعية بالوعى الكامل على أسـبابها، وكل ملابساتها التاريخيـة.ثم إن عمليـة التغيير المـدخرة للقائـد المنتظر تقوم على أساس رسالة معينة هى رسالـة الإسـلام، ومن الطبيعى أن تتطلب العمليـة فى هـذه الحالـة قائداً قريباً من مصادر الإسـلام الأُولى، قد بنيت شخصـيته بناءاً كاملاً بصورة مسـتقلة ومنفصـلة عن مؤثرات الحضـارة التى يقـدر لليوم الموعود أن يحاربها.وخلافاً لـذلك، الشـخص الـذى يولـد وينشأ فى كنف هـذه الحضـارة وتتفتـح افكـاره ومشاعره فى إطارها، فإنه لا يتخلص غالبا من رواسب تلك الحضارة ومرتكزاتها، وإن قاد حملة تغييريـة ضـدها.فلكى يضـمن عدم تأثر القائد المدخر بالحضارة التى اُعد لاسـتبدالها، لا بد أن تكون شخصـيته قد بنيت بناءاً كاملاً فى مرحلـة حضاريـة سابقـة هى أقرب مـا تكـون فى الروح العامـة ومن ناحيـة المبـدأ إلى الحالـة الحضاريـة الـتى يتجه اليوم الموعود إلى تحقيقها بقيادته».ثم يطرح سـماحته (ره) بعـد ذلك سؤالاً آخراً مرتبط بالناحية الانسانية من العقيدة المهدوية وهو لماذا لم يظهر القائد العالمى طيلة هذه المدة؟ وإذا كان قد أعد نفسه للعمل الاجتماعى، فما الذى منعه عن الظهور على المسرح فى فترة الغيبة الصـغرى أو فى اعقابها بدلاً عن تحويلها إلى غيبة كبرى حيث كانت ظروف العمل الاجتماعى والتغييرى وقتئذ أبسط وأيسـر، وكانت صـلته الفعلية بالناس من خلال تنظيمات الغيبة الصغرى تتيح له أن يجمع صفوفه ويبدأ عمله بداية قوية، ولـم تكن القوى الحاكمة من حوله قد بلغت الدرجـة الهائلـة من القـدرة والقوة التى بلغتها الإنسانيـة بعـد ذلك من خلال التطور العلمى والصـناعى؟«والجواب: أن كل عمليـة تغيير اجتمـاعى يرتبـط نجاحهـا بشـروط وظروف موضوعيـة لاـ يتـأتى لها أن تحقق هـدفها إلاّ عنـدما تتوفر تلك الشـروط والظروف.وتتميز عمليات التغيير الاجتماعى التى تفجرها السـماء على الأرض بأنها لا ترتبط فى جانبها الرسالى بالظروف الموضوعيةالموضوعية، ولكنها فى جانبها التنفيذى تعتمد الظروف الموضوعية ويرتبط نجاحها وتوقيتها بتلك الظروف. ومن أجل ذلك انتظرت السـماء مرور خمسـة قرون من الجاهليـة حتى أنزلت آخر رسالاتهـا على يـد النبى محمـد (ص ;) لأـن الإرتبـاط بالظروف الموضوعيـة للتنفيـذ كان يفرض تأخرها على الرغم من حاجـة العالم إليها منـذ فترة طويلـة قبل ذلك.والظروف الموضوعيـة التى لها أثر فى الجانب التنفيذى من عملية التغيير، منهـا ما يشـكل المناخ المناسب والجو العام للتغيير المسـتهدف، ومنها ما يشـكل بعض التفاصـيل التى تتطلبها حركـة التغيير من خلال منعطفاتها التفصـيلية.فبالنسبة إلى عملية التغيير التى قادها ـ مثلاً ـ لينين فى روسيا بنجاح، كانت ترتبط بعامل من قبيل قيام الحرب العالميـة الأُـولى وتضـعضع القيصـرية، وهـذا مـا يسـاهم فى إيجـاد المنـاخ المناسب لعمليـة التغيير، وكانت ترتبط بعوامل اُخرى جزئية ومحـدودة من قبيل سـلامة لينين مثلاً فى سـفره الـذى تسـلل فيه إلى داخل روسـيا وقاد الثورة، إذ لو كان قـد اتفق له أى حادث يعيقه لكان من المحتمل أن تفقد الثورة بذلك قدرتها على الظهور السريع على المسرح.وقد جرت سنة الله تعالى التى لا تجد لها تحويلاً فى عمليـات التغيير الربـانى على التقيـد من الناحيـة التنفيذيـة بـالظروف الموضوعيـة التى تحقق المناخ المناسب والجو العام لإنجاح عملية التغيير، ومن هنـا لم يـأت الإسـلام إلاّ بعـد فترة من الرسل وفراغ مرير اسـتمر قروناً من الزمن.الـذين أحـدقوا بالمدينـة فى يوم الخنـدق

وتبعث فی نفوسهم الرعب،العون فی لحظات حاسمة بعد أن كان الجو المناسب، والمناخ الملائم لعملية التغيير علی العموم قد تكون بالصورة الطبيعية ووفقا للظروف الموضوعية.وعلی هذا الضوء ندرس موقف الإمام المهدی (ع) لنجد أن عملية التغيير التی أُعد لها ترتبط من الناحية التنفيذية كأی عملية تغيير اجتماعی اخری بظروف موضوعية تساهم فی توفير المناخ الملائم لها، ومن هنا كان من الطبيعی أن توقت وفقاً لذلك.ومن المعلوم أن المهدی لم يكن قد أعد نفسه لعمل إجتماعی محدود، ولا لعملية تغيير تقتصر علی هذا الجزء من العالم أو ذاك ؛لأن رسالته التی ادخر لها من قبل الله ـ سبحانه وتعالی ـ هی تغيير العالم تغييراً شاملاً، وإخراج البشرية كل البشرية من ظلمات الجور إلی نور العدل،الكبری هذه لا يكفی فی ممارستها مجرد وصول الرسالة والقائد الصالح وإلّا لتمت شروطها فی عصر النبوة بالذات، وإنما تتطلب مناخاً عالمياً مناسباً، وجواً عاماً مساعداً، يحقق الظروف الموضوعية المطلوبة لعملية التغيير العالمية فمن الناحية البشرية يعتبر شعور إنسان الحضارة بالنفاد عاملاً أساسياً فی خلق ذلك المناخ المناسب لتقبل رسالة العدل الجديدة، وهذا الشعور بالنفاد يتكون ويترسخ من خلال التجارب الحضارية المتنوعة التی يخرج منها إنسان الحضارة مثقلاً بسلبيات ما بنی، مدركاً حاجته إلی العون، ملتفتاً بفطرته إلی الغيب أو إلی المجهول.ومن الناحية المادية يمكن أن تكون شروط الحياة المادية الحديثة أقدر من شروط الحياة القديمة فی عصر كعصر الغيبة الصغری علی إنجاز الرسالة علی صعيد العالم كله، وذلك بما تحققه من تقريب المسافات، والقدرة الكبيرة علی التفاعل بين شعوب الأرض، وتوفير الأدوات والوسائل التی يحتاجها جهاز مركزی لممارسة توعية لشعوب العالم وتثقيفها علی أساس الرسالة الجديدة.وأما ما أُشير إليه فی السؤال من تنامی القوی والأداة العسكرية التی يواجهها القائد فی اليوم الموعود كلما أجل ظهوره، فهذا صحيح، ولكن ماذا ينفع نمو الشكل المادی للقوة مع الهزيمة النفسية من الداخل، وانهيار البناء الروحی للإنسان الذی يملك كل تلك القوی والأدوات؟ وكم من مرة فی التاريخ إنهار بناء حضاری شامخ بأول لمسة غازية ؛ لأنه كان منهاراً قبل ذلك، وفاقداً الثقة بوجوده والقناعة بكيانه والاطمئنان إلی واقعه» انتهی ما أفاده (ره).وبإمكاننا أن نتناول المعطی الإنسانی للمهدوية فی مفهوم أهل البيت (ع) من زاوية أُخری.فنقول: إن الاعتقاد بمهدوية غائبة عن الأنظار لكنها حية ومؤثرة فی مجريات الأحداث لصالح الجماعة المؤمنة، وهی تحمل كل خصائص الإمامة من العصمة والنص النبوی والكمال العلمی والعملی، من شأنه أن يشيع فی المجتمع أجواء هذه الإمامة ونفحاتها المعنوية والروحية الرفيعة، ويشبع الإنسان باحساس طيب بتواصل الصلة بين الأرض والسماء، واستمرار الرعاية السماوية للأرض، وتحويل ذلك إلی معان محسوسة أكثر فاعلية فی النفس، بعد ما كانت فی أُصولها العقائدية معان معقولة، ويكرس فی الساحة الاجتماعية والسياسية حاكمية التوحيد، ويجعلها حاكمية قريبة من الحسّ الإنسانی، بوصف أن المهدوية الغائبة ليست شخصاً عادياً وإنما هی الإمام الثانی عشر المعين سماوياً ليشغل موقع الإمامة حتی نهاية التاريخ، صحيح أن الناس لا يباشرونه حسياً، لكن الاعتقاد بكونه حقيقة حسية يقصر احساسنا عن ادراكها يجعل النفس فی حالة تفاعل روحی إيجابی مع خط الإمامة الإلهية المعصومة بما هو تعبير وامتداد لحاكمية التوحيد فی الأرض.ويشتد هذا التفاعل أكثر حينما تعبر المهدوية المعصومة الغائبة عن نفسها تعبيراً سياسياً بارزاً من خلال مبدأ النيابة الخاصة فی فترة الغيبة الصغری ومبدأ النيابة العامة للفقهاء فی فترة الغيبة الكبری كقيادة سياسية شرعية للمجتمع الإسلامی بما يحفظ للإمامة موقعها السامی كمشرف يراقب التجربة السياسية والاجتماعية وينصرها، وكمنبع يمدها بالشرعية حينما يجدها متطابقة مع الإسلام.ومن مجموع هذه البيانات يتجلی بوضوح معنی الكمال فيما يقدمه المفهوم المهدوی عند أهل البيت (ع) من معطی إنسانی وهو معطی ينسجم تماماً مع جوهر الفكرة المهدوية، فإن المهدوية المعصومة الغائبة مهدوية متحركة ومؤثرة وإيجابية بالنسبة إلی الواقع الإنسانی بينما المهدوية فی مفهوم أهل السنة ليس لها تأثير فی الواقع الإنسانی، وهی ليست أكثر من تنبؤ مستقبلی. وكأن مهدوية أهل البيت (ع) تتكفل بتحقيق ما تعد به من خلال تحريك الواقع الإنسانی والتفاعل الإيجابی معه.وهذا بذاته خير ما يوضح المعنی الإيجابی لمفهوم الإنتظار، فإن إنتظار الفرج ليس سكوتاً وانهزاماً، وإنما هو روح إيجابية فعالة باتجاه التغيير المطلوب مهدوياً.

خلاصة البحوث

وفی نهايـة المطاف يمكننا اسـتخلاص نتائج البحث بالنقاط التالية:۱ ـ إن الـدين هو التعبير الأكمل عن الحقائق الإنسانية، والإسـلام هو التعبير الأكمل عن الحقائق الدينية، والتشيّع هو التعبير الأكمل عن الحقائق الإسلامية وبالتالی، فمهدوية أهل البيت (ع) هی أكمل تعبير عن أصل المهدويـة الـذی أجمع المسـلمون علی الاعتقاد به.۲ ـ ان جـوهر الفرق بين مهدويـة أهـل الـبيت (ع) ومهدويـة الجمهور من علماء المسـلمين يعود الی مسألـة الإمامة، فالمهدی فی مدرسة أهل البيت (ع) هو الإمام الثانی عشـر (ع)، بينما هو فی مدرسة الجمهور مسألة مستقبلية صرفة؟۳ ـ ولماكانت المسألة المهدوية عند أهل البيت (ع) هی مسألة الإمام الثانی عشـرالذی لا إمام للبشـرية بعده، من هنا فقـد اتّصف المفهوم المهـدوی عندهم (ع) بثلاث خصائص هی: ولادة الإمام المهدی (عج)بنحو سـرّی ومكتوم، وإمامته المبكرة، وغيبته المسـتلزمة لعمر مفتوح مع امتداد الزمن، وهذه الخصائص ثابتة بثبوت أصل الإمامة الاثنی عشـرية المعصومة الذی تفرعت عليه، فضـلًا عن الأدلة التفصيلية التی كتبتها واحدة بعد الاُخری.۴ ـ إن هـذه الخصائص الثلاثـة ليست ثابتـة بأدلة عقائدية وعقلية ووجدانية كافيـة ولا يلزم منها أی ايراد عقلی أو دينی فقط، وإنّما هی التی تمنح معنی الكمال للمفهوم المهدوی وتجعله مفهوماً ذا قيمة عقائدية ومعطيات انسانية عالية وخلّاقة علی الساحة الاجتماعيه تتكامل وتنسجم مع معطيات أصل الدين فی الحياة الإنسانية.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا… َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِـنَ كَلَامِنَـا لَاتَّبَعُونَـا… (بَـنـادِرُ البِـحـار – فی تلخيص بحـار الأنوار، للعلاّمـة فيض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّـيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع " القائميّـة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آيـة الله" الشـمس آبادی – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحـداً من جَهابـذة هـذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهـذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز" القائميّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة…

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و…

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتجَات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشک، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّـِقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللّهُ تعالی؛ و اللّهُ ولیّ التوفيق.


مركز القائمية اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹